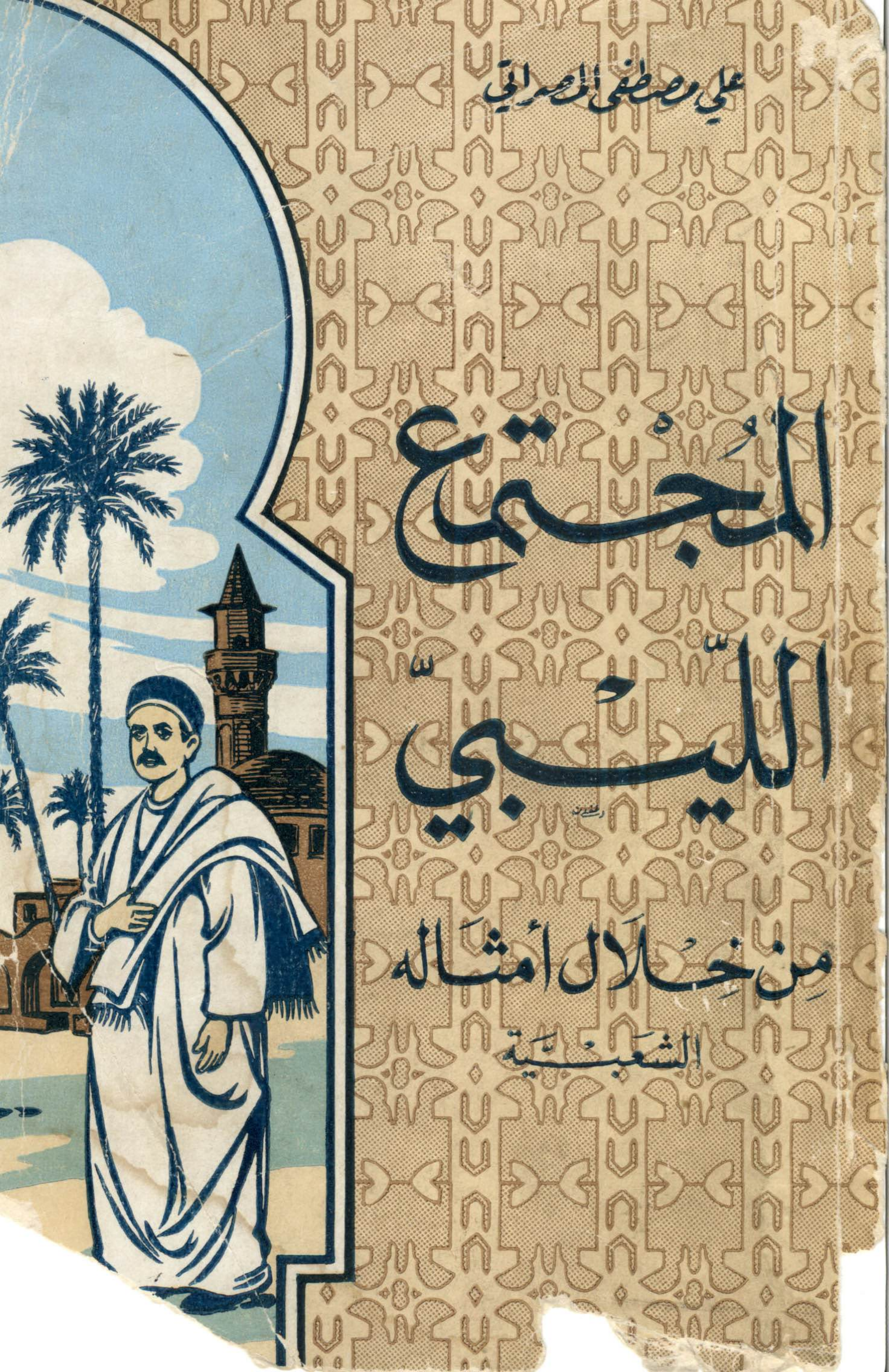

علي مصطفى المصراتي
المجتمع
الليبي
من خلال أمثاله
الشعبية

دراسات في التراث الشعبي

المجتمع الليبي

من خلال أمثاله الشعبية

علي مصطفى المصراتي

حسن يوسف الكويشي

المجتمع الليبي

من خلال الأمثال الشعبية

دراسة في التراث الشعبي

الطبعة الأولى

تمـــوز (يوليو) ١٩٦٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الأهداء

الى الذين يبحثون في أعماق الشعب عن الجذور – جذور الأصالة والحقيقة .

الى الذين يتفرسون في الصورة أبعد من الأصباغ والرتوش .

الى الذين تعجبهم الكلمة في بلاغة الصدق والأداء ، لا في بهرج التكلف والطلاء .

الى المهتمين بالفن الشعبي عند أمتنا العربية .

أهدي هذا الكتاب .

طرابلس الغرب – ليبيا

علي مصطفى المصراتي

هذا الكتاب

وهذا كتاب جديد أقدمه للقارىء العربي ، أحـــاول ان أطرق به ناحية من الأدب الشعبي في ليبيا .

وهذه الدراسة، أو هذه الأضواء ، حلقة من حلقات ونظرة من نظرات ، تناولت فيها جانبـــاً من التراث الشعبي من حيث دلالة المثل على النفسية وما وراء الأمثال من دلالة ومعنى .

وهذا موضوع لا يخلو من طرافة ، وأيضاً لا يخلو من صعوبة وجهد .

وأرجو ان أتابع هذه الدراسات التي تتصل بحيـاة الأدب والفن والاجتماع في ليبيا ،هذا الوطن العربي العزيز الذي ما زال في حاجة الىتشميرالساعد ومواصلة البحث والدراسة . فيحاجة الى أقلام تعبر عنه ، وتكشف تراثه وترسم منهاجـــاً للدراسة والإبانة في شتى المجالات الاجتماعية والفنية .

والـتراث الشعبي في بلادي – او الفلكلور – كما سترى ، متعدد الأنحاء ، واسع الأطراف، خصب الإنتاج عميق الجذور.
وقد أردت ان أسهم في هذا الميـدان بسهم ، فوجدت الأدب الشعبي :

بحراً عميق الغور .

وواحة وارفة الظلال .

ورحابه فسيحة تحتاج الى مواصلة الجهد .

وتكوّنت لديّ مجموعات من الدراسات المطوّلة المنوعة.

وعكفت على تأليف قاموس يتناول – الفولكلور – في ليبيا وما زلت على مر الأيام أزيد فيه وأضيف اليه ، وهو ما زال في مرحلة التكوين .وأرجو ان أجد الفرصة لتقديمه الى عجلات الطباعة ليتخذ سبيله الى القراء العرب .

وهذا ليس من قبيل – الإعلان – او الحديث عن النفس وغرور الكتّاب ،انما هو لفت نظر للقارىء والقارئة ..

لفت نظر لا بد منه ليشعر ان هذا الكتاب الذي بين يديه، ليس إلا نظرة سريعة ولفتة عاجلة تلقي الضوء على جانب من جوانب الأدب الشعبي في ليبيا .

يتناول هذا الكتاب الصغير ناحية من التراث الشعبي ، ذلك اللون من الأدب الذي لم تفسده الأصباغ ولم ترهقه البلاغة المتكلفة .

بل هو تراث صادر عن حياة الشعب .

معبر عن خلجات الشعب .

كيف ترى المجتمع في ليبيا من خلال الأمثال الشعبية !

كيف كانت الأمثال البسيطة مرآة صافية تنعكس عليها نفسية الناس !

لقد عبرت هذه الألوان من الأدب الشعبي عن الفرد في

المجتمع وصلة الفرد بالمجتمع .

عبرت عنه في أحلامه وآلامه ، وقوته وضعفه ، وعاداته وتقاليده .

وهـــذا – في الواقع والحقيقة – موضوع ذو جـذور وتشاعيب .

وهذا الكتاب – الذي بين يديك – كان في الأصـــل محاضرة ألقيتها في مدينة طرابلس الغرب ، في أحـــد المواسم الثقافية .

وقد وجدت هذه المحاضرة صدى واقبـــالاً لدى المشتغلين بالفكر والأدب .

ثم رأيت أن أضيف اليها أشياء ، وألقي عليهـــا نظرة أوسع .

وشغلتني شواغـــل عديدة ، وقمت برحلات وجولات ، وكلما اردت العودة لهذه الأوراق لأدفعها الى الطباعة طرأت مشاغل وحالت حوائل .

ثم ها هي الأوراق غدت تسعى اليك .

فهل لا بد من مقدمة !؟

وكيف أبدأ في المقدمة وكيف أنتهي وأتخلص منها ؟

وقد يلوم عليَّ بعض من الناس السرعة في الكتابة .

ولكن يا سيدي مـاذا أصنع وكيف المخرج والدراسات متزاحمة ، كل منها يريد ان يقفز الى الورق ويخرج للقارىء ؟

وأرى ان إعطاء – المفاتيح – وطرق الأبواب وتسليـط

الأضواء خير من التلكؤ والتباطؤ .

وعلى كل حال ..

ليس الذي يحجم بخير من الذي يقدم .

والذي يصنع شيئاً خير من الذي لا يعجبه شيء .

وان كان هناك ثغرات ونواقص فأرجو ان اتلافاهـا في دراسات اخرى وجولات آتية .

وهنا أستعرض جانبـاً من امثال الشعب وحيـاة الشعب وسيكولوجية الشعب على طريقة العرض وإلقاء النظرة والجس لا مجرد السرد .وأحب ان أنبه القارىء والقارئة إلى ان هذا الكتاب ليس بقاموس للأمثال ومعجم لهـا ، فهـذا موضوع آخر أرجو ان أقدمه ان وجدت فسحة من البال وبراحاً من الوقت .

وبعد لعـــل من الخير ان يطالع القارىء الكتاب بإمعان وان يجد مفتاح الكتاب في الكتاب ، لا في كلمات مقدمـــة موجزة .

بل أريد ان يجد طلبته في الفصول القادمة الـتي تكوّن صورة لجانب من جوانب عـدة للأدب الشعبي في ليبيا .

وشكراً ممزوجاً بتحية المودة والإخلاص .

طرابلس الغرب ، ١ يوليو - ١٩٦٢ علي مصطفى المصراتي

على مسرح الأمثال

للأدب الشعبي مجالاته وميادينه – كالأدب الفصيح ، الأدب العربي المكتوب .

له فصوله وفروعه ، ولديـــه مواطن اخصاب ورحابات فسيحة . في الادب الشعبي مـــا في الادب الفصيح من أشكال وألوان ، فيه صور زاهية ، وظلال قاتمـة ، وجوانب مضيئـة وجوانب خافتة . ولهذا تكثر مواضيعه وتتسع أرجاؤه . ولهذا الأدب أدوات تعبير ووسائل تصوير وطوابعه ومميزاتـه . ومن هنا – كانت للآداب الشعبية في كل اقليم وزمان ومناخ تأثيرات ومؤثرات ، وصدى وتجاوب .

في كل بلاد العالم – من هذا الكوكب الارضي– يتخذ الأدب الشعبي أو الادب – العامي – مجراه ويشق طريقه .

أحيانا بين السهول أو بين الهضاب والشعاب .

بين التلال والصخور وعلى الشطآن وفي الفيافي والقرى .

شأن كل كائن حي يتأثر بالمناخ والأجواء .
ويتلون بلون التيارات المتعددة .
أي أنه شيء موجود حي .. عائش .. ينمو .. ويتدرج .. ويتطور .
كائن حي .. يتبلور ... ويكبر ... ويرتفـــع وينهض ويعـلو .
وأحيانا وفي جوانب يشرق – من الاشراق .
وأحيانا وفي أنحاء – قد يسف .
فهو يتطبـع بالبيئة .. ويتأثر ويتفاعـل بالمناخ ، وتنعكس عليه صور من حياة المجتمع وأحاسيس الشعب .
انه يصور دنيا الناس في أحلامهم وأمانيهم .
يصورها في يقظة الحس واغفاءة الشعور .
بل الادب الشعبي – أحيانا – قـد يكون أعمق من الادب الفصيح ، ولغة الأقحاح ولهجة الفصاح .
لأن لغة الكتابة قد لا تصور في صراحة وجرأة ما تصوره كلمة عابرة في مثل سائر .. أو ما تحكيه قصـــة ساذجة أو ما يكني عنه معنى فطري ، أو أغنية خفيفة .
بل قد ينفذ أدب الشعب الى أغوار النفس في لغته ولهجته العادية ، يتسلل الى ما تحت الشعور .. بؤرة «اللاشعور» . يدخل كل منفذ .. ويلج كل ناحية .. ويطرق – أحيانا – بابا قد يقف أمامه الفصيح متلجلجا .. أو يمشي على استحياء مترددا .
فهو أدب صريح .

وهو أدب جريء .

حتى في عصور الظلمات .. وآونات الاستبداد .

بل قد يقوم مقام الرئة المعطلة عندمـــا تـُحارَب الثقافة الفصيحة .

عندما يحارب الأستعمار الفكر ويعطل أدواته .. عندمــا يسد منافذ العلم ويغلق أبوابها ويسد مسالكها يجد الادب الشعبي – أحيانا – منافذ ، ويشق سبلا ، ويعوض بالتنفيس والتعبير . تكون منافذه في تعابير ساخرة ، أو في تلوين صورة ساخطة ، أو في شكل صرخات أو همسات ثائرة .

فيحمل الأدب الشعبي أحاسيس الشعب في نغماته وأناته ، فيكون في بساطته وسهولته خـير معبر عن الضمائر ومصور للمكنونات .. يصــور الضمائر المستترة وجوبا .. أو المستترة جوازاً على حد اصطلاح النحاة ، يصور سرائر ويبرز – ولو في إطارات مغلفة بالشوك – بعض الدفائن والعواطف والمشاعر .

ورغم أن التراث الشعبي أو العامي مهمل ، وهو كميات متروكة ، وتركات مكدسة ، تسري على الألسن ، وتجري منطلقة في روح المجتمع وأعصابه ، وليس لها حظ كبير مثل ما للأدب الفصيح .. بل هو مسطور في الصدور وقلما يسجل في السطور ويقيد في الأوراق – الا في النادر القليل – .

ومع ذلك – فهو أدب مكتمل الأنحاء ، متكامل أومتناسق الأعضاء ، صحيح الأطراف ، قوي البنية ، مفتول الساعد له عيون براقة ، يمثل في مضمونه ومجموعه – وفي صورة عامة –

الحياة الاجتماعية ، بل ويشير الى الأدوار التاريخية ويدل على الآداب التقليدية للشعب ، والاتجاهات الحسيـــة والنفسية وجوانب العقائدية .

مجالات فسيحة ودلالات صادقة .

فاذا أردت أن تدرس شعباً من الشعوب فلا تكتف بمـــا سجل عنه في طيات مراجع التاريخ وآدابه الفصيحة فقط بل هناك رحاب ، ومساحات .. ومجالات .

هناك تلتقي فيها مع الشعوب وجها لوجه ، وتمسك هناك بيده وتعرف سير خطاه ، وتسمع في وضوح خفقات قلبـه ، وتكشفه على حقيقته المعنوية والمادية .

فمن طريق الادب الشعبي تظهر لك طويته وتنكشف لك فيها حقيقته .

جس نبضه ، واكشف سرائر نفسه .. ودقائق حسه .

في الادب الشعبي .

فنونه .. تراثه .. هناك تجد التعبير الصادق .. وتلمـح الصورة الكاملة الظلال .

ومعاذ الله ، وأستغفر الله أن أدعو الى ابتـــذال الادب الرفيع ، ونبذ الأدب الفصيح .

أو أن أغدو من دعاة تلك الدعوة الجوفاء ، الكتابة باللهجة العاميه ، فأكون بذلك .. بهذه الدعوة متجنياً بل أكون في حق قومي ورسالة الادب عاقاً ، مجرماً في حق العروبة والفكر العربي الخلاّق المشرق .

ففي ميدان الفصحى نتعارف ، وعلى صعيدها نتلاقى .

لا يقوم لأمة العرب بنيان ، ولا يشد لها أساس .. ولا تنهض لها نهضة على تلك الدعاوي الجوفاء والفكرة العرجاء بل هي شوهاء لكناء – دعوى الاغراق في العامية – وجعلها للناس لغة الكتابة والادب والدراسة .

هي – بلا شك – دعوة نكراء ، بل هي في الحقيقة مبدأ منشأه استعماري ، خطة خطيرة ، التقفته منهم فئة مغفلة مغرورة ، أو معتوه الوجدان ، فقامت لتغلب العامية على الفصحى والكتابة باللهجات الاقليمية واهمال الفصحى ، الأم الرؤوم .. الأم الحنون ، في صدرها يلتقي العرب ، ومن ثديها يرضعون ، وفي ظلها الوارف يرتعون .

الفصحى ذات الإشراق واللمعان ، والحرارة الموقدة ، والمشاعر الحساسة الملهبة – بل الروح الملهمة .. أنتركها لأجل همهمة – وفي بعض المناطق شنشنة ? . ورمرمة .. كيف !? .. ولمن نترك الفصحى .. أمنا ?أنكون لها عاقين،جاحدين فضلها ?

وعلى حساب من يكون الأدب العربي ذا شعوبية ولهجات متعددة ، تتنافر بدل ان تتلاءم . ثم نحتاج الى تراجمة .. وتراجمة للتراجمة .

الداعي الى ان يكتب الأدب وشتى فنون الكتابة كما ينطق العوام رجل لا يريد خيراً بمستقبل أمة العرب . أمة الضاد .

إنما هنا – في مجالات الدراسة عن ناحية من أدب العامة وفنون الشعب التعبيرية – ندعو بصدق وحرارة الى البحث

والفحص عن مكنونات قومنا .
الى المقارنة والكشف والإبانة .
الى معرفة نفسية الشعب وانعكاس الاحداث في حياته الخاصة والعامة .
ولا شك ان هناك فرقاً كبيراً بين دراسة الأدب الشعبي وفحص تراثه والمحافظة على كنوزه، وبحث وغربلة آثاره وجلوها وعرضها في سوق الفن والأدب ، ودراسة العوامل النفسية والأحوال الاجتماعية والأحداث التاريخية ومعرفة الملابسات والظروف ومدى الانطباعات سطحية او عميقة .. فرق كبير بين هذا وبين الدعوة الى الابتذال وجعل العامية واللهجة الدارجة لغة الكتابة وأداة التعبير .
ففي مجالات الدراسة والإبانة ندعو بصدق وحرارة واخلاص الى ان نأخذ من أفواه العامة .. سوادِ الشعب، كل الناس، الكلمات والتعابير الفنية ذات الهدف .
أي أن نلحظ التراث وندرس ما يجري في مجالس النـاس وأسمارها ونقتبس من عباراتهم العـابرة .. المعبرة المشيرة الى ملامح شخصيتها والدالةِ على تكوينها الخُلقي لنعرف منه هذا الأدب وألوان تعابيره وملامح شخصية المجتمع ولنتعرف على مواطن الضعف من القوة . والصواب من الخطأ .. وعقلية المجتمع اللاواعي – ان صح هذا التعبير – في هذا المعنى .
ترى من هذا ان الفرق جد كبير بين الدعوة **المبتذلة الجوفاء** التي تهدف الى رطانات ولهجات متعددة بكل اقليم من أقاليم

الشعب العربي – اذن.. عندما تتحقق دعوتهم – لا قدر الله – قطعت الصلة وأصبحت الكتابات باللهجات الدارجة، او القصيدة همزة مشؤومة، همزة قطع لا همزة وصل.

وإحلال العامية الدارجة محل الفصحى شيء خطير مرير وخطة من قدامها وورائها جريرة وجرائر تحمل في طياتها معولاً هداماً تريد ان تهدم العملاق الفصيح.

تحمل هذ الخطة سهماً مسموماً مصوباً الى قلب العربية.

فنهوض أمة العرب عن طريق الاحساس.. عن طريق اللغة الواحدة، مبعث النمو. من هنا..من هنا الطريق ياحداة القافلة! حذار من مزالق الطريق وأناشيطه وخوازيقه.

عندما نتعرض لدراسة لون من أفكار العامة وأدب الشعب وأمثال الشعب وأشعاره لا نريد القضاء على الفصحى.

انما نريد أن ندرس.. ونتعرف ما في الشعب وما عند الشعب من آراء وخلجات.

ونظهره على ضوء المصباح.

ونتبينه على محك الدراسة.

لنظهر على أضواء الحقيقة الخصائص والمقومات والميول «فابن البلد» في سهرات طرابلس ومجالس بنغازي وأسمار فزان، و «ابن البلد» في القاهرة او في صحراء نجد وعلى شط الفرات ودجلة وعند شجيرات الأرز وضفاف بردى أو عند حلق الواد في تونس أو في أزقة فاس ومكناس او في قسنطينة ووهران بالجزائر تماماً في مشاعره وأفكاره واتجاهاته كابن البلد في صحراء

عمـــان والبحرين وبغداد .. على بعد المكان وترامي أطراف البلدان .. يشعر ابن البلد بأحاسيس ومعـان فياضة في عمق او سطحية ،في اطار ساخر هازىء او فكاهي مرح .

وابن البلد هنا او هناك له نظراته الفلسفية أحياناً .. ولكن قد يختلف في بعض الملامح .. او طريقة التعبير وأسلوب الأداء أو تكون هناك بعض الظروف والأحوال والملابسات « **ومقتضى الحال** » ودوافع دفعته حاجة التعبير او التلوين .

وهو على كل حالة .. هنا .. وهناك ينطلق في تعابيره بـلا تـكلف ولا تزاويق .. تنطلق منه عفو الخاطر وتعبيراً صادقاً .. حكمة وليدة التجربة .. وكلمة مأثورة بنت الحقيقة .. وعبارة ساخرة او ضاحكة وتنعكس الصورة في مشاعره فتظهر مختمرة مجلوة في شكل زجـــل طريف .. او تنطلق كالشهاب نكتة لاذعة أو تجري على لسانه قفشة رائعة .. او من غير إعنـــات يسوق سجعة ذات رنين .. او من أعمـاقه آه ذات عويل او هي مجرودة او معلقة .. أو يصوغ هدفه في قصة على لسان حيوان .. او بيت من الشعر محرف بعض التحريف ، وقد يصوغ خرافـة من خرافات الأولين وأسطورة من أساطير القدامى ، أو تظهر هذه اللمعة ويسجل هذا الخاطر ويبلور هذه الصورة في شكل مثل يضربه ، يصوغه أو يسوقه ويستشهد به ثم ينتقـــل عبر الأجيال والأزمان ويتوارثه الأحفاد عن الأجداد .

* * *

ومن هنـــا نستطيع ان ندرك أن التراث الشعبي له – في

الواقع - ما للأدب الفصيح من فروع وأنواع: القصة- الرواية- الاسطورة - الخرافة - الشعر - الزجل - الأغاني - الأحاجي - الألغاز - الكنايات - الرمزيات - الأمثال - الخ ...

* * *

سمعت الأمثال الشعبية والتقطتها من أفواه الناس: من العامة من السابلة من كل مكان في ليبيا .. من كل صنف .. من السكارى والمشعوذين .. من الشحاذين والصعاليك . من الفقراء والأثرياء المترفين ، من طبقات العلماء والمثقفين ، وأصحاب المناصب والوجهاء، من المساجين ووراء القضبان والزنزانات ، من المشردين في الأرض ، من الشيوخ الذين قذف بهم موج الحيـــاة الى شط الكهولة ، من فتيات وراء الستور والحجب ،من العجائز ..من أطراف البادية وأصحاب الخيام الرحل .. سنوات وأنا أصغي وألتقط وأسجل .

وجولتنا في هذه الأوراق .. رحلتنــا مع القارىء في هــذا الكتاب .. حديثنا معه في هذه السطور سيتناول جانباً واحداً من هذه الانحـــاء المترامية والأطراف المتشعبة والموضوعـات المتشابكة .وهذا الجانب-أيضاً- خضم ،هو بحر طويل مديد .

فيه ما في البحار من عمق .. ولآلىء .. وجوانب غائرة .. وأمواج .. وجزر وأنحاء لم يطرقها مجذاف .وأيضاً سنتناول هنا جانباً من هذه الدنيا الصاخبة والسوق الكبيرة ..شيئاً يسيراً .. غرفة .. أو سبحة في بحر .. أي نظرة الى المجتمـع الليبي من خلال الأمثال .. في مرآة الامثال ، على مسرح الأمثال .

كيف تعبر هذه الأقوال السائرة الدارجة عن حياة النـاس في هذا المجتمع .

وقد ينشأ من هذا - بعد فترة - لون من أدب المقارنات بين الأدب الشعبي هنا وفي أنحاء أخرى من عالمنا العربي . واذا كان مفكرو الأدب العربي ونقاده ودارسو الفن الفصيح قد ضربوا بسهم وافر في « المقارنات » فقارنوا بين أدب الاندلس والادب العباسي وبين أدب الجزيرة وأدب الشام ، وأدب مصر وأدب المغرب وفي الادب الحديث - أيضاً - قارنوا بـين المدارس الشعرية والمدارس النثرية على مختلف مناهجها .. واتجاه أساليبها وتنوع نغماتها ، بين أدب المهجر في بلاد الامريكان وبين أدب جديد ذي طابع مستحدث في ربوع مصر والشام . وخرجت بعض الاقلام بدراسات ومقارنات مثمرة ونتاج وفير طيب ، وفازت المكتبة العربية الحديثة بصور رائعة بديعة ، وكتابات وافية ضافية .

وكله في شتى العصور والاقطار يعتبر دراسة للأدب العربي ، يمتاز بالروح العربية ، والفكر العربي . وكلـه غصون وارفة لشجرة باسقة ، ويشكل أزاهير في طاقة ، وهـو باقة فواحة عبقة ، وفي الباقات أزاهر وعطور وأشواك وأوراق اذا كان هذا في « المقارنات » وفي « المقابلات » والدراسات والنقد في ساحات الادب المكتوب بالفصحى ، فإننا نأمـل أن يجد الدارسون في التراث الشعبي لوناً ومجالا في المقارنة بـين أدب الشعب وتراثه هنا وأدب الشعب وتراثه هناك في شتى أقطار

امة العرب .

وكما سبق أن أشرنا – كثير من الأدب الشعبي وتراثه يتفق في المعنى ويصور النفسية الواحدة في العالم العربي . وهنا ملاحظة لا تفوتنا ونحن ازاء الامثال الشعبية في ليبيا ، ليس هنـــاك تناقض في مجموع الامثال كما يبدو لأول وهلة : انمـــا هناك – في الواقع والحقيقة – حالات وملابسات .. هناك لكل حالة لبوسها .. جوها – لكل حالة وحادثة شاهد من مثل ، ومطابقة من قول ، وموافقة من حكمة أو أثر . فقـد تكون هناك حالة تقتضي للإنسان أن يتمثل بالقول المتداول عند من لا يهمهم المصرف والدفع .

- اصرف ما في الجيب يأتي ما في الغيب

وفي حالة أخرى عند التاجر المدقق والحصيف المحاسب المتفنن .

- اللي يصرف ولا يِحْسِبْ يفلسْ ولاَ يِدْرِي

وحالة المنفعل غضباً في سياق المثل وما يستشهد به ويطابق وضعه بالطبع هو غير ما يستشهد به الممتلىء حيوية وفي حالة أمن واستقرار ، ومثل يضربه سكران أو يُسْتَشْهَد بـــه لسكران في خمارة – بطبيعة الحال والجو – غير المثل الذي يضربه مصلٍ خارج من مسجد .

مثل تضربه فتاة في خدرها لوعها الحب ، أو أرقها عذول

غير مثل تضربه عجوز حنكتها التجارب وخطت عوامل الدهر في جبينها تجاعيد وخطوطاً .

وهكذا الفارس المقدام غير الجبان المتردد والمكسال المتواني غير حالة وجو الجريء الطموح ... ولكل دربه الذي يسلكه ومثله الذي ينشده .

* * *

أمثال وكنايات وحِكَم .. وكلمات موجزة نابعة من بيئة خاصة ذات مناخ وطابع معين . ومثل قد يذهب بعوامل الدهر وتطورات الاحداث مورده ، ويقتلع الزمان منبته ويبقى مع هذا – شاهداً – دالاً على حالة من الحالات التي مرت بالشعب . يبقى الاثر القديم قد لا يلتفت اليه الا دارس أو هاو للأطلال وتفحص الركام . وأمثال كالملابس القديمة كانت في آونتها . لائقة مناسبة ولكن – بالتطور – ودوران عجلة الزمن غدت أزياء لا تصلح أن يمشي بها انسان في عصره ، بل تصلح أن تكون في رواية أو تأخذ زاوية ورفاً في متحف . ولكنها من ناحية أخرى – رغم استهلاكها تفيد الدارس . فالأزياء والأواني والنقود القديمة والعاديات التي تحفظ في المتاحف أو الامثلة التي تحفظ في قواميس أو أقبيةودواميس تفيد اولاً الدارس للتاريخ والاجتماع . وتدل أيضاً على مدى التطور ومراحل الحضارات والتفكير وسلوك الافراد والجماعات ، كذا الامثال تدل على تاريخ ومرحلة ومقياس لنمو أو قصور في مراحل النمو . وهي في مجموعها – مواد خام – للتكوين الاجتماعي والنفساني ،ولوحة

كشافة تنعكس عليها أفكار وأوهام وحقائق وأحلام وهي – أيضاً – حقل خصب للثقافة بمفهومها العام .

* * *

مثل واحد قد يكون موجزاً لعبارة عامية عفوية بسيطة قد يدل على أغوار النفس .. وشرح حالات وملابسات قد لا يعبر عنها مقال طويل الذيل ، أو بحث ضاف مسترسل ، أو خطبة طويلة مستفيضة .

ونافذة أخرى كان يطل منها الشعب فكانت الامثال والكنايات وسيلة من وسائل التنفيس ، وأداة من أدوات التعبير – لا سيما في فترات الكبت وعهود القيد أيام الاستبداد وتسلط الامبراطورية الزاحفة وحكم الاجنبي الطاغي فقامت الأمثال الشعبية والكنايات بدور هام وظلت مسرباً ومتنفساً للأفكار . تعبر في مضمونها عن حالات وتصور جرائر ومرائر قد لا يستطيع التفوه بها والتعبير عنها شعراء من أهل الفصيح أو علماء مقربون كانوا يتمسحون بالاطلال ويقعدون عند الاعتاب .

* * *

ولا يفوتنا أن نذكر أن القدامى من الأدباء والكتاب لم يهملوا أمثال العامة في عصرهم كمجموعة وسرد .. وتسجيل وتدوين ، صنعوا شيئاً من هذا دون دراسة وبحث ومحاولة للتحليل وهو جهد مشكور وهي لفتة قيمة كانت تحتاج الى خطوات أكثر جرأة وعمقاً لتكون في مدلولها أكثر قيمة .

فالميداني – أحمد أبو الفضل النسيابوري – من القرن السادس الهجري .

والابشيهي صاحب المستظرف وكتاب المخلاة .

والشريشي صاحب شرح مقامات الحريري .

والراغب الاصفهاني صاحب المحاضرات .

والنويري في كتابه نهاية الادب .

ولكن كل هؤلاء – وغير هؤلاء – عندما يذكرون أو يدونون الامثال العامية التي كانت تستعمل في عصرهم وبلدانهم يلجأون لطريقة السرد والكلية من غير تحقيق ، بلا تدقيق ولا معيار .

يذكرون أمثالاً عامية بلا دراسة وان كان جهدهم لا ينكر في حفظها ونقلها لنا . ثم في العصر الحديث العلامة أحمد تيمور – رحمات الله عليه ، والكاتب أحمد أمين – رحمات الله عليه ، الاول في قاموس الامثال والثاني في قاموس العادات والتقاليد المصرية .

وأيضاً هناك دراسات الأمثال العامة .

عَبارات وَمُصْطلحَات مِن أدَب المجتمَع

- مَرْبُوحَة

كلمة تقال للمسافر أو للمفارق تفاؤلاً ودعوة بالربح .

- بَرَكَاتْ

عبارة للشكر على إعطاء البقشيش .

- في أمان الله

كلمة للوداع .

- أحسَنْتْ

اذا عمل لك معروفاً أو أجاد في عمله .

- أَنْوَرْتْ ــ مْنَوّرْ

تقال للخطيب أو المتكلم أو الصانع اذا أجاد .

- عَفواً

كلمة للاستئذان عند القيام من المجلس والذهاب وهي صيغة استئذان .

- صَابْيَه

تقال اذا كان الشيء في محله أو عند أمر لازم أي هو أمر صائب من الصواب .

- سلطان

تطلق على العريس في أسبوع عرسه .

- الصَدَّارَاتْ

النسوة الجالسات في حفل العرس بأزهى ثيابهن وهي عادة تقليدية .

- مِسْتَأْذْنَاتْ

نسوة يطفن على الابواب والبيوتات يقمن بدعوة أهل المنزل لحضور عرس فلانة ويطفن في أسبوع العقد .

- القفة

من التقاليد .

- اْبعُودَه

كلمة تقال للحاج وقت السلام عليه عند قدومه من الحج

والزيارة .

- تَسْتُورْ

كلمة للاستئذان ،وهي أيضاً تقال عند ذكر الاولياء وتقديس كراماتهم وتستور يا سيدي فلان .

- طَار الْسَوْ

تقال عند وقوع حادث طفيف تفاؤلاً وتخفيفاً لوقع الحادث. أو عند انكسار آنية أو وقوع شيء واندلاقه .

- خَدِي سَوّْك

عندما يفقد الانسان شيئاً من متاع أو آلة أو مال .

- لاَ سَوْ ، لاسوّيه ، لا بأس

عند زيارة المريض وعيادته .

- عَاشْ من رَاكْ

عبارة تقال عندما يلاقي الانسان صديقه ويكون غيابه طال ومن زمن لم يره وهي تحمل اللوم والتمني بالخير .

- آنْسَكْ

عندما يعود شخص لأهله أو يقدم غائب وتستعمل في شكل آخر للسخرية أحياناً .

● خدَاهْ بالعِينْ

أي حسده ... من تأثير العين .

● اللهم ارض عن سيدنا عمر

كلمة تقال للتحصن عند ذكر الجان .

● عُقْبالْ دَايِمْ

تقال في الدعوات والولائم عنـد الفراغ من الالتهام وغسل اليدين .

● ارحمه

أي اضربه واصفعه وهي هنا في الاستعمال من أسماءالأضداد .. أي لا تأخذك به رحمة .

● كَفَّارة

عبارة تقال عند مقابلة من خرج من السجن .

● الله يْنُوبْ

تقال للسائل الشحاذ تقال عند المشارقة : يحنن عليك .

● الْحُوتْ عَليِه

● خمسة وخميسة

كلمة تقال لدفع العين وأكثر استعمالها عند النساء في تدليع الاطفال .

- يُرَجِّبْ

أي يمدح ويثنى وأصل الاستعمال من الترجيب، ترقيص الأطفال عند العرب .

- يا حَنَّا يَا مِيَّنا

كلمة نسائية لازمة في حديث النسوة عندما يردن جذب الانتباه في كلامهن الطويل .

- عَزَّاه

كلمة تقال اذا ذكر شيء أو شخص وأرادت المرأة او الرجل استنكار هذا وعدم قبول ما وضع ـ استنكارية .

- يا كَلْمِتْي ولّى لي

كلمة تقال عند الندم على كلمة صدرت وحديث أسف عليه.

- يْعزّم عليه

يقول التمائم والرقى .

- تَالِيفْ

تطلق على القراءة من قرآن كريم وقصائد على روح الميت في اليوم التالي لدفنه . مجموعة من الفقهاء يقرؤون في نغمات وصوت

مرتفع وحلقة مستديرة ، تسمى هذه العملية تاليف .

• قَنْطَرْ

كلمة تقال في أسلوب انتهار وسخرية عندما يبالغ الإنسان في حديثه او يكذب.اي اجعل كلامك قنطرة .. لتعبر عليها أو كأنك جعلت كلامك قنطرة الكلام أو أن هذا كالقناطير وهذا أقرب في التأويل .

• مصاصة الكرشة

آخر من تخلفه الأم أي آخر العنقود .

• شِيْخْ الْحَلْوه

تطلق على مدعي المشيخة بلا علم .. مجرد صورة وهيكل .

• بالْبَاء والْتَاء

اذا سرد الشيء بحذافيره ومـــن أوله الى منتهاه بتفاصيله .

• طَبَقَة

وأحياناً يقال عالم طبقة أي له منزلة كبيرة في العـــلم وهو مأخوذ من مناهج القدامى طبقة المحدثين طبقة المؤرخين ، طبقة الفقهاء الخ ...

• عنده نَامُوسْ

أي شرف وهمة نفس .

• حزّها

تقال لمن تريد أن تقص معــه الامر وتنهيه ؛ وحز الشيء أي قطعه .

• يزّى

أي يكفي من هذا الشيء .

• شكّار روحه كيف خطم من هنى

تقال عندما يأخذ الانسان في الحديث عن نفسه ويثني على محاسنها تقال له هذه العبارة في قالب من السخرية .

• يدّهور

يتفسح ويرتاض .

• ركزة

رجل ذو أهميــة وحيثية مأخوذ التعبير من ركزة البيت عليها يعتمد .

• يطول السفر ويرتخي الطّفر

تقال لمن يجِد في شيء أو يمسك بشيء في أول الأمر ثم لا يلبث أن يتركه مع طول الزمن .

• كَحَّلْ

للنظر في وجوه الحسان والتأمل في الغيد يقال : فلان رأيته في الشارع «يكحل» أي يتأمل و«يبصبص» في الوجوه الجميلة .

• عِينِي رَفّتْ

اذا رفت عين الانسان يأخذها للدلالة على أنه سيرى انساناً

• ايديَ تاكلْ فِيَّا

اذا شعر باهتزاز في يده فإنه يأخذها دليلاً على أنه سيسلم على انسان غائب أو يضرب شخصاً أو يقبض فلوساً .

واذا شاهد النعل بطريق الصدفة ركب على النعل فيأخذه دليلا على السفر .

واذا تحركت السفرة والخوان ولم تستقر يأخذها دليلاً على أن ضيفاً سيأتي .

واذا لعب الطفل الصغير وأطل برأسه من بين رجليه يأخذ منه دليلاً على أن زائراً أو سائراً سيأتي .

اذا نبح الكلب في الليل نباحاً كريهاً متواصلا يأخذ منه زعماً بأن ميتاً سيموت في الحي أو البلد .

• شِني ـــ ايشْ تْزَكَّرْ

أي كلامك فارغ وعملك ليس في محله على غير أصول وهو مأخوذ من الزامر في الزكرة .

● زَمِيرْ

كلمة تقال في سخرية لمن يعبث في عمله .

● طاح سَعْدَه

أي وقع وضاع حظه .

● علْم يْحَتْحَتْ

للاستهزاء عندما يتحدث انسان بمالا يفهم ويشرح مـــا لا يدرك .

● الله يرحم شيـخ الصنعة

يقولها الصانع عند اجادته لعمله أو الثناء على مـــا كسبت يداه .

● يرحم وَلْديك

كلمة تقولها لمن يقدم لك معروفاً .

● مَلّحْ

عبارة سب مع طرد .

● يزِيدَكْ عِزْ

كلمة للتشجيع والاعجاب لمن عمل شيئاً وبذل مجهوداً طيباً وكان مصيباً في هدفه .

● ازْرَفسْ

عند اللّت والعجز في الكلام أو الرأي .

● خُطْوا تَكْ معَشْرَاتْ

يقولها أصحاب الميت وأهله عند قبول التعزية لمـــن جاءهم ومعشرات أي أن كل خطوة بعشر حسنات .

● الانْقَرْ

الشخص الذي يكون موضع اعتزاز .

● يا عين ان كانك جيعانه كوليها وان كانك شبعانـــه ارميها

يقولها الاطفال اذا وقعت قشة أو هبوة في عيونهم .

● هَجْالَه

أي امرأة بلا رجل مطلقة أو مات زوجها .

الحيوانات والأمثال[1]

والأدب الشعبي ألصق بالتربة والبيئة .

فالأديب أو الشاعر بالفصحى قد يتأثر ويتفاعل بأجواء أخرى ويتصيد تشبيهات وصوراً بعيدة نتيجة المطالعات والقراءة وتغذية ذهنه بشتى الصور، فتراه عن قصد أو غير قصد يلتقط التشبيهات من بعيد وقريب عن طريق المسموع ؛ أما الأديب الفنان الشعبي فإن التشبيهات والصور التي يتصيدها ويلتقطها تكون في الغالب الاغلب من صميم البيئة التي يعيش فيها . وترى هذا متمثلاً ظاهراً في الامثلة التي يصوغها عن الحيوان والنبات والجبال والاودية والوهاد والاسواق .

مثلاً ترى في تشبيهات الاديب الشعبي :

القنفود – الغراب – الحرباء – الديك – الثعلب – الديب – النحل – الهدهد – القطوس – الصيد – الارنب – الجراد – الغزال – التيس – العنز – القرد – الحمار – النمل – البغل الفرس – الحنش – الزقرّلو – العقرب – النعجة – الجمل – الخ . .

فالذي ينكمش في جلده منزوياً يمثلونه بـ القنفود
والذي يتشاءمون منـــه يشبهونه بـ الغراب
والذي يتلوَّن وينافق بكل جو بـ الحرباء
والمنتفخ أو يؤذن بـــلا صلاة بـ الديك
المـــكار أو السيـــاسي بـ الثعلب

وفي السخرية ومن الادمغة الفارغة يقولون :

• خُدْ الحكمة من رُوسْ الفَكَارنْ

وفي الاجتماع وبركته يكون هذا المثل :

• الديك قَالْ البركة في الِلمّة

ومن فيه مؤهلات وتدل براعته عليه :

• اللي فِيهَا لَبَنْ نصَيّحْ

ومن بحث عن حتفه بظلفه وسعى للضرر بمسعاه :

• كِيفْ الدَجاَجهْ تبَرْبَشْ على الْموسْ

وفي الجبان الذي لا يمتلك الشجاعة الادبية وإبـداء رأيه أمام الحـكام :

• ما يَقْدَرْش يقُول النَّاقة

ومن عنده المستفيض ويمتلك الثروة الزائدة ويضعهـــا في الكماليات :

- اللي عنده الحنّة يحنّي دِيل حماره

ومن يجابه العواقب من سوء تصرفه ولا يراعي دقة السير :

- الحمار العَتَّارْ يتلَقّي الْوَطا بِعَتْرتَه

وفي الدفاع عنِ النفس ومبررات ذلك :

- حتى القَطُّوسْ تخَرْبِش

وفي الانسان الذي لا يخلو بيته من طعام أو كيسه من مال أو همته من الفعال :

- قُطْرةُ الضبع مَا تَخْلاَشْ مِنْ عضَامْ

وفي التحدي والمعايرة :

- كُونْ صِيدْ وكُولْنِي

النباتات والفواكه

وتشبيهات وتلوين الصورة الفنيـــة في الامثال والكنايات يأخذ الادب الشعبي من حقـــل الفاكهة ومشاتل النباتات فهناك تبرز :

النخلة – الكرمة – الورد – الفلة – الياسمين – المشماش – الدلاّع – الخوخ – النجاص – التفاح – الخيار – الفقّوس – الهندي ، أي التين الشوكي – الرمّان – الفجل – الكرّات – المعدنوس – الصفصفة – الخروع – السفنّاري ، أي الجزر – الترّفاس – البصل – الزبيب – قرعة – باذنجان – العنب – العنقود الخ .

فتسمع الناصح يقول لصاحبه عند الاشارة الى فائدة التدرج في الأمر :

● النخلة يَرْقُوهَا مِنْ لُوطَا أي الأرض « الوطا »

وفي تشبيهات الغزل والاعجاب بجمال المرأة :

- خدود تفاح .. التديان رمان ..

وفي المدة اليسيرة اشارة الى ان المشماش موسمه قليل :

- حكومة مشماش سبعة أيام ومتّماشْ

وفي من تضعه في مكان وتلقاه في آخر ومن تريد منه قضاء أمر فيقضي سواه :

- حُطّه في القَرعةْ تَلْقاه فِي الباذْنجَان

وفي عدم الارتياح وحالات القلق :

- كيف راحة الكَرْموسْ في الغْرَارَا

وفي الشيء له مظهر من غير راحة وهيكل من غير فائدة :

- تفّاحة النَّمْ لَا ينْدَاقْ لَا ينْشَمْ

أمثال يجب أن تحذف

وهناك على مسرح المجتمع أمثال تقال وتروى وكلمات تدور يجب ان تحذف من قاموس الحياة.. أي تلغى من فكر المجتمع. خطر رسوبها في حسه وامتزاجها في فكره. أمثـال وكنايات خطر أن تصبح قانوناً وتغدو عرفاً وخطة سير في الحياة، أقوال يجب على المربين ان يلغوها ويعملوا على ازاحتها من مسرح الناس لأنها لا تليق في دنيا المعاملات والاعتقاد. هي في مبناها ومغزاها ما عادت تصلح للسير في طريق الوجود، فليست متمشية مـع السلوك السليم والصراط القويم. بـل هي في دلالتهـا تشير الى ظواهر كانت .. ثم انقرضت او يجب ان تنقرض تلك الظواهر والبواعث لأنها في مضمونها استسلام وخنوع تحمل المذلة ومـا يتفرع منها.

من هذا القبيل نسوق هنا أمثلة من ذلك النوع ونستعرض هذه النماذج :

- اللي تَشبَحَه راكب على خِشْبَة قُولَه مَبْروكْ حصَانِكْ

هكذا اذا فقدنا ملكة النقد وفضيلة النصح ورغبة التوجيه وبالتالي على هذا المثل نفقد روح الاصلاح .

- ان كان لك حاجهْ عِنْد الكلبْ قُولّه يا سِيدِي

وأين عزة النفس وكرامة الانسان ، أليس في هذا المسلك النفاق بعينه وقمة الرذيلة ان كان للرذيلة قمة ؟!

- اليَدْ اللي ما تَقْدَرْشْ تعْضَها بُوسْهَا

أويريد صاحب هذا المثل حتى اليد التي أشار اليها – ابن الوردي – قطعها أولى من التقبيل اذا كان لا يستطيع عضها . هل لا بد من خنوع التقبيل في قاموس النفاق !؟

- اليد مَا تعَانِدْشْ المِشْفَا

مثل من بقية عهود الخنوع حيث يساق لمن يريدونه راضياً حتى بالأخطاء فاليد لا تقدر على مهماز المشفي..على صد الحكام ، ولكن هذه القاعدة للأيادي الضعيفة .

- العرب جَرَبْ
- ان عُرِبتْ خُرِبتْ
- لا يصِيرْ من العرب باشا ولا من الحطب ماشا

لا شك أن هذه كلمات تحمل في طياتها معان سامة للعرب والعربيـــة ، هي من عصور التسلط التركي وعهود الاغوات والباشوات كما يظهر من رائحتها ولكن العرب ليسوا جرباً — ولا ان عُربَتْ خُربَتْ بل أثبت العرب وجودهم، وللعرب سهم في الحضارة الانسانية .

- لَا يْلَحّقْ العُرْبِي دُولَة الا المسْحَهْ والجدوله

وقد صار منهم دولة رقيمة.. أما الماشة والباشا فقد ألغيت حتى عند صناعها ومورديها .

- أَخوَا
- طَبّسْ تَخْطاك
- اخْطى راسي وقُصْ

كلها للدلالة على السلبية، على التهرب والتملص من تحمـــل لمسؤوليات — أخوا — بتسكين الخاء وفتح الواو في لهجة ليبيا أي اختفِ ولا تظهر. وهذا للدلالة على ما وصلت اليه حالة الروح الاجتماعية في عصور ركدت فيها همة النفوس. كما ان طَبّسْ بمعنى طأطىء برأسك وتخطاك اي تخطاك وهي ايضـاً مثل اخْطى راسي وقص ، أي لا يهمه الغير مـا دام قد سلم رأسه هو حتى ولو قصت رؤوس الناس. وهذا يتنـــافى مع روح المجتمع الذي

يشعر الفرد فيه بالترابط مع الناس جميعاً . ومما يبرهن على فساد هذه النظريات أن هناك مئات من الأمثلة الجماعية ضد هذه الكلمات الباهتة الضعيفة التي ظهرت في فترات الركود وتهرب الفرد من حياة المجتمع .

البحر والبحارة

لقد أثرت حياة البحر والبحرية في أدب الشعب بليبيا ، وطبعت أمثاله اذ تقع البلاد في حوض البحر الأبيض المتوسط . . ولها شاطىء من أكبر الشواطىء ، وكانت الموانىء في ليبيا من عهود الفينقيين والإغريق والرومان والعرب وفي عهد الاتراك من أكبر الموانىء والشطوط .

وقد ازدهرت البحرية في ليبيا وجاءت فترات كانت أساطيلها من أكبر الاساطيل التي تغزو شواطىء أوربا . وقد ازدهرت حياة الصيد في ليبيا ولا زالت تلعب دوراً هاماً في الاقتصاد إذ الثروة المائية غنية وطائلة . وقد كانت الاساطيل التجارية ذات أثر ملحوظ ، ونجد في ثنايا الأمثال والاقوال والحكم والكنايات تعابير وفيرة فيها مستلزمات البحر وحياة البحرية والبحارة .

نجد تشبيهات الصيد والصيادين والفلك والامواج ، صور فيها طرافة ، في بعضها آمال المتفائل ، وفي بعضها قلق المتشائم وفي جوانب منها ثقة المؤمن ، وفيها ألوان منها جرأة أو ثقة .

وهذا جانب هام يرينا الى أي مدى أثّر الشاطىء والبحر في أدب الناس ، كما أثرت الصحراء بمناخها ورمالهـا واتساعها في تصوير الامثال والكنايات ، وهنـــا لا نستطيع أن نستقصي ما قيل من أثر الصحراء أو من أثر البحر، فليس من مهمة هذا البحث الموجز وهـذا التخطيط المقتضب أن نسرد فيـــه ونستقصي ، بل نحاول ان نشير الى جانب وأن نعطي ونقدم ولو نموذجاً مصغرا .

وهـذا الايجاز والتخطيط الصغير هو من المحاولات الأولى والخطوات الجديدة في هذا الميدان الفسيح والشاطىء المترامى ذى الامواج والجوانب العديدة .

نجد من ناحية التصوير والتشبيه مثل هذه العبارات :

مركب – سفينة – فلوكه – شط – بابور – قلاع – رايس براني – حوت – سنارة – شبكة – بحيرة – بحر – غارق – غدران – موج – مجـــداف – طير البحر – قلّع – النسمة الريح – مالح – المرسى – عوام – مينا – الخ ...

* * *

ومن ناحية الموضوعات التي كانت من آثار البحر والبحرية في أمثال الناس ، كانت موضوعات مختلفـــة تناولت ضروب الحياة الاجتماعية ، **فيها بعض صور ساخرة ، وأخرى ضاحكة وجوانب جادة** ، وحكم نابعة من تجارب الحياة هذا الذي اجتاز عدة مراحل ومواقف زلقة خطرة ، قطع المشوار الكبير وبقي عليه مرحلة صغيرة وناحية يسيرة هو لا يتأثر ولا يفقد الأمل بل

تراه يقول باعثاً الثقة في نفسه محركاً أمـل السلامة والوصول في حنـاياه :

● عَدِينَا البحر يا بَالْ البُحَـيْره

وهذا انسان يضرب لنفسه حِسْبَةً ، وصاحبه الآخر عنده حِسْبَةٌ غيرها ، هو يرسم خطة ، ولكن رئيسه أو سيده لديه خطة أخرى ، في مثل بسيط يرسمه الفنان الشعبي قائلاً :

● البَحَـرِي عنده حساب والرايس عنده حساب

وهل تدرك قيمة الصحبة وأثرها .. لا تظهر قيمتها وتتضح حقيقة أمرها ومدى عمقها في النفوس الا عند السفر أو عنـــد الازمات واشتداد الامور ، وهل هناك في سوالف الايام ومعترك الازمــان أشد من ركوب البحر وهول البحر والسفر في سفنه التي تتراقص ، ثم المسافات البعيدة والاشهر العديدة التي يقضيها البحارة وسط البحار .

عند ذاك تكون الصحبة ظاهرة لملاقاة الأخطار والتعاون. اسمع المثل يقول :

● الصحبة في البحر

أما اذا أراد أن يصور الإنسان الحالة التي بلغت حدهـا ووصلت الى منتهاها وبلغت الازمة شدتها فيضرب لك الإنسان مثلاً يدل على نهاية الامر :

- جِتْ للشَطْ

ومن هذا القبيل أيضاً في نهاية التردي وبلوغ ساعات الحرج في الامور المادية أو المعنوية يقول :

- لِلْقَاعْ

وتصور عندما يكون جنوح السفينة للقاع .. أية حالة تكون .. وفي كلا الحالتين – جت للشط – أو – للقاع – فقد بلغت النهاية عن طيب خاطر في الاولى أو عن غير طيب خاطر. انتهت الرحلة أم لم تنته الرحلة. أو قد يكون الريح قد أرغمها على الارتماء للشط غالباً ، كما أن – القاع – لا يكون الا قدراً وارغاماً .

وقد يكون الناس سواسية في الشر والطباع ، واذا ما أراد أن يتحدث عن هذا الطبع المتساوي فيه فئة من الناس .. لا فرق بينهم في طباعهم .. ترى أي شيء يلحظه راكب البحر في التساوي والتشابه . انه يقول في ايجاز وبساطة :

- سُوَا سُوَا امْيَّة البحر

وعندما تكون الامور غير مستقرة .. قلق .. وأرق .. ومخاطر، لا يدري من أين تواتيه ولا ما هو مصدرها ، وهو يرى البحر أمامه – البحر المالح – فيصوغ لنا المثل قائلا – كناية على عدم الاستقرار – :

- على ضَهْر المالح

وهذا انسان يقدم على أمر وهو جدير به ، يعرف خباياه وطواياه ، فما أقدم عليه الا وله خبرة ولديه مران، بماذا يصوره الفنان الذي عاش في البحر ، انه يهمس لك :

- مَا جا للبحر الا وهو عَوّامْ

وفي طباع الناس وتصرفاتهم قد يكون هذا من ذاك ، أو كما يقول النحاة من ذاك ذو ، هذا من معدن ذلك الشيء . كيف يعبر عنه الادب الشعبي أو بأي تشبيه يقاربه ، في لهجة سريعة يقول :

- مِنْ بَحْرُو

طبعاً ان كان خيراً فهو خير وان كان شراً فمن جوه وأثره.

وبعض الناس من شيمته أن يحرك دفائن أو يؤلب .. من طبعه أن يدفع الناس الى بعض الامور ، قد يكون بطريق مباشر أو غير مباشر ، في مثل أهل البحر والشاطىء يصور هذا قائلا :

- دَفّانْ المركب

لأن المركب كان قبل تسييره ودفعه الى سطح البحر لا بد له من حركة ودفع .. ودَفْ اي دَفْع.. وهذا التصوير من الاستعارات الطريفة في المحسوسات والمعنويات ، فقد كانت

المراكب لها دفان قبل اختراع البخار والالات الميكانيكية .

وهذه المراكب دخانها يؤذي .. له طابع خاص ويشبه به الاشياء التي تغطي الحقائق وهي ستـار تحـول دون اظهار الحقيقة :

● دخان المركب

وقد يكون الحديث طويلاً وتافها .. لا أثر له ، ولا طعم فيه ، يمله المستمع ، ويعرضه عنه قائلا في سخرية :

● خَرّافهْ في البحر جَرّافهْ

وهل يصح أن ترتدي شيئاً في غير أوانه ، او في غير مكانه . ان لبس العباءة لمن يريد أن يحرك يديه ورجليه وسائر عضلاته لا يليق ، وقد رسم المثل التهكمي لابس الشيء في غير أوانه أو مكانه ، أي واضع وصانع الشيء في غير محله قائلا :

● بَحَرِي بْعَبَاتَهْ

وقد كان البحري فقيراً — وفي أيام زمان يخدم ببطنه .. أي مقابل ملء بطنه وقوت يومه ولهذا كان لا يتصور أن يطمع فيه انسان ، فاذا طمع فيـه أحد يكون عجيب صنع هـذا الانسان . اذا طمع الرجل في آخر غير مقتدر يقول المثل :

● بَحَرِي والعَشا مِنَّهْ

واذا ضاعت الامور واذا تاه الشيء الصغير في الخضـم

الكبير .. عندما تضيع نقطـة في محيط يصور هـذا مثل البحارة قائلا :

● حَبّةْ بِشنَّة في بَحَرْ

لا بد من همة في كل الامور .. وجد ومثابرة ، لا تعتمد الا على نفسك في نجاح أمرك ، بيدك مقاليـد التقدم والتفوق في بحر الحياة ، اذا كنت عالة لا بد أن تفشل .. أرأيت البحري في مثله :

● حَرّكْ ايدك تعوم

وان كان في بعض الحالات لا بد من انحناءة وشيء من اللين وليس ولا بد أن تتصلب وتمسك بتلابيب الامور ، كن سهلا حتى لا يضيع الخيط :

● أرخ اِيدْكْ تعُومْ

ما أطرف مفارقات الحيـاة ، قد تتصارع بعض الجهات وتختلف بعض الاتجاهات فيأتي الكيد على الغير ، تتحرك عوامل وتختلف أناس فيتحمل العبء وتأتي نتائج هذا على رأس الغير :

● تَحرّكتِ الرياح ِجي الكِيدْ على الصَّارِي

وذلك الذي لا يشبع ، وفي جوفه يأخذ كل شيء ويده تمتد للاستيلاء على كل شيء بحق وبغير حق .. طماع وما زال يطمع . وتصور كيف يكون هلعه ومدى جشعه عندما يرسم له

البحري هذه الصورة .. وماذا يترك للمغير :

- بالَعْ المركب بِصْوَارِيهْ

ويروي البحارة في أمثالهم واسمارهم قصة طريفة . قصة الذي يجهل المسالك ويركب رأسه معانداً ولا يعرف الدروب اين يوصل :

- عَلى قَلْبَها لطَالُونْ

قصة المغربي الحاج الذي ركب من الشاطىء وأراد أن يصل الى مسجد طولون بقلب القاهرة قائلاً في عناد واصرار – على قلبها اطالون – وأبى أن ينزل أمتعته أو يصغي للشرح وأن القاهرة لا تقع على شط البحر وليس هناك مرسى للسفينة وليس أمام طولون شاطىء بحر ولكنه أصر وضحك البحارة وصار مثلا .

والحاذق يعرف شئون عمله ، يدرك سياسة أمره .

ولهذا يقول البحارة في أمثالهم .

- سِبْسِيِ الرَاْيس مَا يَحْرقش المركب

والسبسبي السيجارة

وفي طمع الكبير في الصغير ، وتسلط القوى على الضعيف واختلال النظام وضياع الحقوق والاصول ، عندما تعلو لغة الطمع وقانون الجشع .. فان أقرب تشبيه الى ذهن العائش

في البحر :

- حُوتْ يَاكْل حُوتْ

وقد يأتي بجملة يرادف بها المثل قائلاً : وَقلِيل الجِْهد يموت.

ومن ألوان الكنايات التي تساق عندما يكون في المكان شيء غريب ، أو هناك انسان يسترق السمع أو غريب عن المحيط فان الرمز الذي يشبه به ويحذر به :

- البحر فيه كلب

وذلك ان كلاب البحر خطرة كانت تعرقل المراكب ويعاني منها البحارة شدائد ، وكانوا ينبهون بعضهم اذا كانت المنطقة تجوب بها كلاب البحر للاستعداد .

أما اذا غضب انسان من انسان وأراد ان يظهر عدم رضاه ويشتمه ساخراً منه ، فهو يريده ان يذهب ليملح أما ان يذهب المالح وهو شيء صعب، خطر كابد منه البحارة عناء وويلات ، أو ان يأتي بالملح وما أصعب جلب الملح في عهود متقادمات ، على كلا المعنيين عبارة الانتهار الشتائمية :

- بَرَّا مَلّحْ

من التصويرات الطريفة ان يجلس حمـار في فلوكة .. كيف يجلس القرفصاء .. كيف يقف مرتاحاًوالفلوكة صغيرة وتدور .. لا يرتاح الحمار .

ولهذا اذا أرادوا ان يمثلوا حالة انسان قلق .. غير مستقر

ولا مرتاح في صورة تهكمية يرسمون هذا المثل :

- تَفَرْشِيكَة حمار ِفي فلُوكَه

والتَّفَرْشِيكْ هو منتهى الراحة والزهو واطمئنان النفس .

وانسان يضيع مجهوده هباء وطاقته تتبخر من غير انتاج وليس لعمله فائدة ولا عائدة،بل عمله ضرب من العبث..ان أهل البحر والشاطىء ولّدوا هذا المثل من محيطهم :

- يزَّمت ِفي البحر

- تعالَ ِفي وَسْطْ البحر وَزَمّتْ

عندما تدلهم الامور ، وتتكاثر السحب ، ويعم الضباب ، ويقع الانسان في « حيص بيص » ولا تتبين الحقيقة من دنيا الأوهام يقول المثل البحري في صيغة التساؤل كناية عن هذه الحالة :

- وِينْ السَما يَا رَايِسْ ! ؟

والانسان الذي لا يظهر من حقيقته أول الأمر ، لا تدل سرائر وجهه على ما يكمن وراءها ، انسان عميق يحتاج تفهمه الى نوع من الفراسة والدراسة المتواصلة .. هذا الانسان كيف يسوق التكنية عن الفنان البحري :

• بَحْرُه غارِق

والمرء مطبوع على حب الزيادة – ألم يقل الحديث النبوي « لو كان لابن آدم واديان من الذهب لتمنى الثالث » . لا تقف أماني الانسان عند حد – قال الكتاب الكريم – خلق الانسان هلوعاً والمثل الذي ضربه البحارة لهذا الانسان الذي لا يكره الزيادة :

• البحر مَا يَكرَهْش الزيادة

والذي قد يكون من غير المحيط قد يفسد برأيه والذي يكون خارجاً عن القوم قد يغرق سفنهم .

• البرّانِي يغرَقْ المراكب — أي الريح البرانِي —

والحوت قد ضربت به أمثال ورسمت تشبيهات فاذا كان الشيء فاسداً من أصله ورب البيت أكثر شراً من أهل البيت ، والمثل الذي يطابق هذه الحالة :

• الُحوتَه خَامْره مِنْ راسهَا

فاذا كان الخامر من الرأس فما بال الذيول والأجناب .

واذا كان رأس المال ضئيلاً ، او هناك شيء واحد مناط الاعتزاز ومحط ثرثرة في كل آن ومكان ففي صورة تهكمية ينطلق المثل ساخراً :

● رَأسْ الحويتَهْ يا عويشَهْ

ويبدو أن عويشة ما كانت تتحدث أو تملك ما تعتز به إلا رأس هذه الحويتة .

وما أكثر الذين ينسون المعروف ويجحدون الفضل ، تقدم لهم فضلاً فيسيئون اليك .. الى سبب النعمة يصور البحري هذا في الاطار التهكمي قائلاً :

● حوتْ المَرْسِـــي يا كلْ الطُعُومْ وَيْخْرَى عَلى السِنَّارهْ

كل شيء له نهـــاية .. كل شيء ينضب فاذا أجهدت انسانا وأرهقته بالمطالبة وضيقت عليه بالأخذ بدون رأفة ولا مراعاة ظروفه يصرخ مستنجداً بهذا المثل :

● حَتَّى البحر يَنْزَحْ ـــ أي من النزوح

والقسمة التي تكون غير عادلة او دقيقة في توزيع الكمية « شيلة بيلة » فقد ينطبق عليها قول البحري :

● قِسمِة حُوَّاتَه

والمضطر ماذا يصنع .. انه يلجأ الى أقرب شيء لعله يجد فيه منقذاً له واضعافاً لأمره .. يحاول الغريق حساً او الغريق معنى أن يثبت ولو بخيط او قشة . وها هو مثل من الشاطىء

وسطح البحر :

- الغارقْ يشِدّْ في تِبْنَهْ

من ينكر أن المال اكسير الحياة ، وبه وسائل المعيشة ، بيد المال المفاتيح التى تلج كل الأبواب وتسهل لك كل الصعاب ، بالمال تشتري حتى الضمائر والهامات ، وهـا هو الفنان الشعبي يصور مدى فاعلية المال وسحر الفلوس قائلاً :

- الفلوسْ يديرُوا طرِيقْ في البحر

حتى المستحيلات يحققها المـال ، وقـد يكون الطريق في البحر في المـاضي من تصوير المبـالغات والمستحيلات وقد كان التعبير ضرباً من الكناية عن فاعليـة الفلوس ولكن في عصرنا الحديث شاهدنا حساً وحقيقة ملموسة طريقاً وجسوراً في البحر بل طريق مبلط طويل وسط البحر .. صنعته الدول الكبرى.

اذا كان الشيء قديماً بالغاً في القدم ، أو انسان بلغ أراذل العمر مبالغة في تقدير نشأته في سخرية وأسلوب لا يخلو من تهكم يعبر عن قدمه قائلاً :

- حَاضَرْ جهِيرْ البحر

أي حفر البحر وجهره .

ان التقسيم والتجزئة قدتتناول كل شيء ، وهذا البحر تستطيع ان تقسمه ، ولكن هل لتقسـمه فائدة كالتي تكون عندمـا يبقى

بحراً ، هل هناك فائدة من التقسيم :

- قَسّمْ البحر يوَلِّي غِدْرَانْ

وعندما يكون الامر مهيئاً له كل شيء ، ويكون مكتمل الأنحاء والادوات وليس هناك مـا ينقص لتسيير الأمر يقول الادب الشعبي :

- قلاَعْ وِمجْدَافْ

أو كناية عن صلاحية الشيء وقيامه بأكثر من مهمة ، يصلح لهذا وذاك .

وهذه صورة طريفة .. كل انسان معجب برأيه ، كل دماغ يرى ان مـا فيـه من آراء هي الصواب بعينه ، وهي النضوج الكامل .

في صورة تهكمية وفي لون من الحوار القصير يقول المثل :

- قال جِتْ مركب فِيهَا رَاسْ
- قالوا له .. اللي عنْده رَاسْ سَادْ عَليه

والشيء الذي لا يستفاد منه تافـه في الرأي او الفكرة ، لا قيمة له مادياً او معنوياً ، في استهزاء وعـــدم مبالاة يمط الانسان بوزه ويشير بتلويحة يده ضارباً المثـل ساخراً في نـبرة مؤكدة ممدودة :

• لَوَّحْ فِي البحر

وكان هذا مأخوذاً من حياة البحارة الذين يقذفون بالاشياء التي لا فائدة فيها .

وفي الحياة المنزلية تنشأ في كل زمـــان ومكان شجارات وقلاقل بسبب الضرائر والسلايف .. فالضرتان زوج الرجـل والسلايف زوجات الاخوة ويكون سوء التفاهم وأصوات مشادة وخلافات ولو على الشيء التافه ، والاختلاف في الميول والاتجاه لا يسير مركب الزوجية ، والخـــلاف بين السلايف قد يغرق مركب البيت .

ولكن الزوجتين تحت سقف واحد ولرجل واحد قـــد تصطلحان وتأخذهما الشفقة على الزوج الحائر ، وشفقة لئلا ينهار البيت ، وتخف حدة النزاع .

اما السلايف فأكثر مشاحنة ، يصور هـذا الاديب الشعبي مستمداً من حياة البحرية تصويراً طريفا :

• مَرْكَبْ الضَرايِرْ سَارَتْ ومركب السَلاَيفْ حارِتْ

الاختلاف في القيادة وتضارب الآراء يؤدي الى العرقلة .

وتفشي الخلافات خطر .

وتحكيم وتركيز القيادة لاسيا قيادة الشعوب تريـــد حزماً

وعزماً، وما أسباب تأخر الشعوب وفشل الجماعات الا من النزاع على القيادة في كل زمن وبلد ، ومن حياة البحرية وتسيير المراكب يقتبس أصحاب الامثال هذه الحكمة :

- المركب مَا تِمْشِيشْ بزُوزْ رِيَّاسْ
- المركب إنْ كان كُتْرُوا فِيهَا الرِيَّاسْ تِغْرق

عند انتهاء امر ومضي حالة .. قضية راحت وتنوس اطرافها ، وذهاب وضع ، تقول عند ذاك مصوراً عدم الاثر او الحس بعد هذا الانتهاء :

- مَاتْ البَحَرْ وَصلُّوا عَلِيه الُحوتْ

من باب التفاؤل .. ودفعاً لشر الحسد ولهب العيون الشريرة تدلل الامهات او الاقارب الاطفال والصغار لا سيما اصحاب الجمال والنشاط منهم في لهفة ولهجة يترقرق منها حنان وعاطفة :

- الُحوتْ عَلِيه

ولماذا اختاروا الحوت بالذات ليدفع الشر والحسد .. عادة متأصلة قديمة .. قد تكشف بعض البحوث والدراسات عنها وعن سر هذا المعتقد .

وليس البحر قاصراً في أثره في الفنون الشعبية على الامثال، بل هناك حكم وأقوال مأثورة يذكر فيها البحر والشط والموج .

من هذا قول الشاعر الشعبي :

- مَا فِي البحر بيرْ مَعْلُومْ

وَلَا فِي العَدُو قلب صَافِي

وهناك صنف من الناس يتظاهر بالورع ويدعي باطلاً العفة ، يتظاهر بإباء النفس وشمم الطباع ، ولكن في الامور الصغيرة فقط ، أما في الامور الكبيرة .. عند المال الجم والصفقات الساخنة .. يأكل وينهب ولا يتورع ، والمثل الشعبي يقول :

- يَتْعَفَّفُوا عَلى الابَارِي ويَبْلعُوا الصَوارِي

يترك الأبرة ولكنه نهم أشر مستعد لنهب وبلع ما هو أكبر .. الصواري .

هل تكون أبلهَ في بيعك وشرائك ، ام انت جربت التجارة ومارست امورها ؟ اذا كنت تشري مبهماً ويغرك المجهول من غير قياس . وصفقة دفعك اليها الطمع من غير تفكير وتدبير ومعرفة ، ماذا ينتج !؟ عند ذاك ينطبق عليك :

- يا عَاطي على حُوتْ البحر

- يا شاري الحُوتْ في البحر

الاتجاهات حتى في المحيط الواحد قد تختلف ، والميول تتنوع وقد لا تتلاءم .

لكل شكل نفسي وطابع فقد تجمعه الظروف مع من لا يتفق معه ، فهناك نفس ونفس .. وحس وحس .. الا ترى في الانسان هناك المرح المزاح ، او سوداوي المزاج .. والمنطلق على سجيته ، والمنكمش الانطوائي بطبعه والمتفائل والمتزمت ، ومن هذا وذاك تتعارف النفوس فتتآلف .. واذا تناكرت وتنافرت اختلفت .. والحديث النبوي :

الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف .

هو صورة دقيقة تفسر التجاوب النفساني أو عدمه بين النفوس .. بين الناس .

الطبائع والميول والاتجاهات يجذب بعضها بعضاً .
ويصور هذا المثل قائلا :

- طِيرْ البَـر مَا يلاَ يمْشْ طِيرْ البحر

عندما يبلغ الانسان ذروة الاعتماد على النفس ، او تواتيه حالة «اللامبالاة» مهما كانت النتيجة .. لا يهمه .. لا يبالي .. فيقول في لهجة لا تخلو من حدة :

- وِينْ ترَسِّي ترَسِّي

واذا كان عارفاً طريقه مدركاً مناهجه فهو خبير بالامور يقول لك عن حالته :

● وِينْ ترَسِّي بَرْ

وقد كان التجار الأغنياء تحمل بضائعهم السفن التجارية عرض البحر الأبيض البحر المالح فهم يقولون عن صاحب الثروة الطائلة :

● مَا لَه يضرب على المالح

والجو اللطيف والهدوء ونعومة البال يصور ذلك الجو الناعم والريح الرخا في هذه الكلمة :

● النِسْمه من قَرا ِجيمْ الُحوْت

أي حلقوم وخياشيم الحوت . والجيم الاولى غير معطشة والثانية متعطشة وقد كتبنا الحرف الأول قافاً وينطق جيماً .

من العبارات الحاملة للسخط المصورة لحالة غضب وانفعال .. فيها شتم وعدم مبالاة بصاحبه الذي أغضبه فهو يقول له هازئاً به متحدياً له :

● اشرب من البحر

وهل يستطيع انسان ان يشرب من البحر المالح !؟

قد تشاهد شيئاً معوجاً ، وترى احوالاً فيها منتهى الفوضى وعدم الانسجام .. مبعثرة .. سطحية .. تافهة فهي كما رسمتها الكلمات الساخرة :

● زَيْ البَعْرْ فِي البَحْرْ

من أساليب التهديد وعدم مبالاة في شكل تحدٍ ان يقول

لخصمه في حدة وانفعال :

● طُزْ البحر

وطز هنا بمعنى انخس

والبحر يتطلب صدره جرأة واقداماً على روح المغامرة .. البحر يريد تعاوناً وصبراً وهذه اخلاق تحتمها ظروف العمل في البحر فهم يسيرون في خضم الاهوال والامواج على الواح ودسر الايام والأسابيع والأشهر في وسط البحر .. في صدره الخطير على سطحه المتراقص .. ملاقـاة الامواج والحيتان والدوامات والأعاصير والأمطار .

وناهيك بمتاعب البحر قبل تسيير السفن والبواخر ، وتصور تلك الألواح والفلائك والمراكب المعتمدة على المجداف والقلاع وهبوب الريح .

هناك صقل للنفوس وتعود على الصبر وشدة المراس والجوع احياناً وضبط النفس والابتسامة والأمل . فـلا غرابة ان ينشأ بين البحرية اعتزاز بأخلاقهم وقوة عضلاتهم وشدة صبرهم . لهذا ترى في مجالسهم وتسمع مبلغ اعتزازهم في هذا المثل السائر عندهم :

● ما رْجَال الاَّ رِجَالْ البحر

والذي بلغ النهاية ، او في تصرفه السائر عليه سيؤدي الى نهاية وعمله سيدل على اقصى حد في الامر .. انه يقول عنه :

● موَصَّلْهَا للشَّطْ

ونشر القلاع وتهيئة الاشرعة يدل على عزم للمسير والابحار. ولذا عندما يذهب انسان او يتمادى في أمر سائراً منطلقاً يعبر عنه بأسلوب وتشبيهات الامثال البحرية فلان :

● قَلَّعْ

اي نصب قلاعه ومضى .. في الحسيات او المعنويات على حد سواء .

وفي حالة الانفعال وشدة غليان النفس يريد ان يصور لك مدى هذه الحالة عند صاحبها فيأخذ من غضب البحر وثورته وهدير امواجه هذا التلوين والتشبيه او يصوغ هذه الكناية :

● البحر هايج

وكان التاجر الثري من له مراكب تسير بين الموانىء تذهب الى اوربا او آسيا محملة مثقلة بالبضائع وتعود وتؤوب ، فاذا جاءت سالمة كان يوم عودتها عيداً وثروة له ، اما اذا سمع بأن المركب تكسرت وغرقت فان حزنه لا يتصور ولوعته مضاعفة ، واذا شاهد انسان حزيناً يشبهه بهذا الثري الذي تكسرت له مركب فيقول :

● كِيفْ اللي تكَسّرْتْ له مَرْكَبْ

ومن اعطى سانية .. جناناً لمن يعمرها له فان الثروة

الزراعية ومكسبها في الاكثر له يتصرف فيها ويعمل كأنها له .
وكذلك من يعمل في مركب للصيد او التجارة – بحكم المهنة –
هو الذي يتصرف في امرها وشئون تسييرها بالطبع كأنها له :

● السَانْية لِلعَمَّارْ والمركب لِلْرَايِس .

هذه ستون مثلاً ونيف فيها جولة أرجو ان تكون ممتعة .
تلحظ فيها من حياة البحر والبحرية تشبيهات وتصويرات ،
وتتصل الامثال – كما رأينا – بكثير من حياة المجتمع .

وفي هـذه الاضمامة لسنا نقصد الاحصـاء ولا نقدر على
الاستقراء الكامل فذلك شيء لا يمكن ضمه في اوراق يسيرة .

انما هي تلوينات في لوحات .
وسطور في وريقات .
وجانب من جوانب .
وحاولنا ان نضع هنا شيئاً من اثر الحياة الفكرية .
ومن مختلف انواع المهن والصناعات .
وامثلة من حياة البادية واصحاب الخيام الرحل .
واخرى من القوافل وآثار حيـاة القافـلة في الامثال
والكنايات .

مِنْ أَثَرِ القَوافِـــل

وكان للقوافل اثر كبير في حياة المجتمع في ليبيا .

والقوافل في ماضي الازمان من اهم وسائل المواصلات .. وهي شرايين التجارة والصلات بين البلدان .

لها نظام في السير ومحطات للوقوف والإناخـــة ، وخبراء يخبرون الطريق وادلاء وآداب متبعة وتقاليد مرعية، واغـاني القوافل كانت من لون الفن الذي انقرض .

وللقافلة حراس بالبارود في المؤخرة وفي الجوانب .

وكانت القوافل تقطع الرحلة في وسط الفيافي والقفار، وتظل على ضوء القمر وفي وهج الشمس اسابيع ، وقد تستغرق الرحلة اشهرا متواصلة من طرابلس الى غدامس وفزان واواسط افريقيا، تجلب العاج وريش النعام والذهب والجلود وتحمل من بضائـع البلاد انواعا . ولها ايضاً مهمة البريد وتوصيل الرسائل ونقـل الاخبار . واهم صفات رجال القافلة الشجاعة والصبر ومعرفـة الطريق والامانة والثقة والعفة والشهامة والمسارعة الى نجـدة

المستغيث والكرم ، وهي صفات تحتمها طبيعة السير في القافلة التي تحمل الثروات والكنوز وفيها نساء واطفال ، وقد تكون قوافل للحج .

ويتطلب سير القافلة حذراً ودقة وتآلفاً بين افرادها حتى يغدوا اسرةً واحدةً ، وقد تشمل القافلة عشرات الرجال . وقد عرفت الطريق الصحراوية وبلاد الفزازين مغامرات واقاصيص من حياة القوافل . ويهمنا هنا اثر الامثال من حياة القافلة . وقد غدت الاتصالات في عهد السرعة بالبرقيات ، وشئون التجارة والاقتصاد بالحوالات والبواخر والطائرات والوكالات التجارية في عواصم العالم الكبرى .

- القافلة رفعت

مثل يضرب لانتهاء الشيء أو فوات الفرصة .

- العِرْيَانْ في القَافْلةَ مطْمَان

تساق هذه العبارة للدلالة على الذي لا يهمه الأمر ولا ينتظر ان يصيبه خطر فهو مطمئن .

- زَكَّارْ مَحادِي قَافْلَهْ

يضرب لمن ليس له تأثير في الأمر ولا كبير أهمية والزكّار ضارب الزُّكْره وهي القربةالتي ينفخ فيها الموسيقيون الشعبيون .

- قَافْله وأَرْبَعْ حمير

كناية عن ضآلة الموضوع وقلة العدد .

● القَـاْفلهْ مِشْـيِتْ والـكلب يَنْـبَـحْ

المعنى ظاهر ويذكرونه عمن يتحـــدث في موضوع بعـــد فوات الأوان ولمن لا صدى ولا أثر لجهوده .

فما فائدة نبح الكلاب بعد ان تمضي القافلة !؟

الأصْحَابُ

الانسان مدني بطبعه .

اي اجتماعي بطبعه .

لا يمكن ان يعيش منفرداً ولا يستطيع ان يحيا منزوياً ، فلا مكان للانطوائية في حياة المجتمع .

بل تدفع الحياة وتدعو الحاجة الإنسان الى ان يكوّن صداقات في المحيط الذي يعيش فيه ، له اصحاب في جده ولهوه ، في سرائه وضرائه ، اصحاب يجنح اليهم ، يبثهم شكواه ويستنير بآرائهم ويمدون اليه يد المعونة .

وقد عني الأدب الشعبي في ليبيا بتصوير الأصحاب وتحدث عن الصداقة واثرها في حياة المجتمع ، ورسم صورة للصاحب المثالي ، كما صور وحذر من صحبة الأشرار واصحاب المنافع الذاتية .

واذا ألقيت نظرة على الامثال الشعبية المتعلقة بهذه الناحية في المجتمع وجدت كبير الاهتمام وعديد النصائح لاختيار

الصاحب .

وقد عني الادب الفصيح بالصاحب فنرى مثلاً - الكاتب ابا حيان التوحيدي يؤلف كتاباً قيماً عن الصداقة والصديق .

ونرى كتب الادب العربي من الامهات والمصادر وحتى الكتب الصغيرة تهتم بالحكم والآداب والمأثورات عن الصداقة والاصحاب . ولا يقل الادب الشعبي في بلادنا اهتماماً بهذا .

وهنا نرى لفتة الامثال الى هذه الناحية الاجتماعية :

● الصاحب على الصاحب يبيع عَباته

لا بد ان يكون الصاحب مضحياً في سبيل صاحبه معنياً بأمره مهتماً بقضاء حاجته ، يجد منه اليد التي تعين ، والصدر الحنون ، وهل بعد بيع العباءة في سبيل الصاحب اهتمام وعناية؟ والصاحب الصادق لا بد ان يكون خالصاً في نصحه صادقاً في رشده؛ومعيار هذا ان يدله على مواضع الصواب ويحذره من مزالق الخطأ .يصارحه ويكاشفه لاجل مصلحته ويريه بدافع الاخلاص الاعداء من الاصدقاء :

● صَاحبَكْ اللي يوَرِّيكْ حبيبك مِنْ عَدُوَّكْ

والحق قد يؤذي والصراحة قد تؤلم بعض النفوس، ولكن العاقل المنصف لنفسه عليه ان يقبل الحق المؤذي والصراحة المؤلمة .

وليس ولا بد أن يكون كلام صاحبك المخلص كله باعثاً على

السرور والأطمئنان. فقد يدلك على عيبك ونقصك، قد يبكيك ويوجعك هذا .. ولكن مقياس الصداقة منوط بالإخلاص والصراحة، لهذا يضع الأدب الشعبي في مناهج وأصول التربية الجماعية هذا المقياس، ويضع بين يديك هذه القاعدة للسلوك وتعيين المخلص من الأصدقاء وتخيّر الخيّر من الأصحاب :

- صَاحبَكْ اللي يبَكِيكْ مُوشْ اللي يضَحْكَكْ

وقد أثبتت التجارب صدق هذه النظرية وصواب هذا القياس فإن الكثرة الكاثرة من الصحاب الذين لا هم لهم الا تزجية الفراغ والتافه من التصرفات ومجرد العبث وملء الفراغ بالفراغ من الجهد .. والإضحاك . هذا الصنف لا قيمة لهم عند الأزمات والملمات .

والصديق يكون للحاجة وليس ولا بد ان تكون منفعة مادية .. بل تكون ادبية معنوية، واذا لم تستفد من صاحبك عند الحاجة .

اذا لم يكن مسعفاً عند الملمات والطوارىء .. ما قيمته .. ما أثره !؟

لهذا يقول المثل :

- الصَاحِب اللي مَا تَسْتَفَادْ مِنّه العدو ِخيرْ مِنّه

ولا يحمل هذا القول على الانتفاع والابتزاز –أي الاستغلال– كما هو ظاهر القول، انما الاستفادة في مكانها ومحلها .. عند

اللزوم والضرورة ، ونستمع للشيوخ الذين مارسوا الحياة وصنوفها يقولون :

● صاحبك سَيّبَه وصَاحِبْ بُوكْ مَا تسَيّبَاشْ .

وذلك لان الصاحب القديم أدرى بالطباع ، وقد يكون للخبرة والتجربة آثارها النفسية ، وعدم التفريط في صحبة القدامى له أثره في مسرح مجتمع الناس . وهناك عائلات وأسر تتوارث الصداقة والمعرفة منذ حقب وأجيال وينشأ من هذا التعارف ودّ وتفاهم .

ولا شك ان الصحبة مهما كانت قليلة أم كثيرة لها في الحياة الاجتماعية نتائجها وآثارها ، ونحن هنا ازاء مثلين أحدهما يدعو الى اتخاذ الكثرة من الاصحاب وتكوين مجموعات عدة من الاصدقاء .

والمثل الآخر يدعو لى الاقلال والاقتصار على الخيار والجيّد من الصداقات .

الاول يقول :

● أَلْفْ صَاحِبْ شوَيّةَ وَعدَو وَاحِد ـ هَلْبَة ـ

وعبارة ـ هلبه ـ أي كثير .

والثاني يقول :

● اللي يْكَتّر الصّحَابْ يخَلّي خيارْهُم

وكما ترى ان الاول يرى ان كثرة اتخاذ الاصحاب وتكوين

الصداقات لا تضر بل قد تكون مبعث نفع ، والعدو قد يضر ويؤذي ، فهو تحذير من اتخاذ الاعداء ، والحيطة لهم .

أما الثاني فيرى ان الكثرة قد تضيع الود – كما يقولون – لان الصداقة لها مستلزمات وواجبات،فالكثرة الوفيرة قد تلهي الانسان عن القيام بالواجب ازاءهم وقد يضيع خيارهم في زحام الكثرة المستفيضة . وهي نظرية بالتالي تدعو – في مضمونها – الى الاهتمام بواجب الصديق وحسن الاختيار، وقلة مع الاختيار خير من كثرة مع الاهمال .

هكذا يرسم في منهاج التربية أدبنا الشعبي ليرينا السلوك الذي يُتبَع والمثل الذي يحتذى .

اما اذا كانت المسألة مجرد صحبة مؤقتة لاغراض سطحية ولمنافع قريبة .. وهي وسيلة لقضاء مآرب ، ثم ليس بعد هذا تأثر وعمق فيصورها المثل الشعبي تصويراً لا يخلو من طرافة الاسلوب وسخرية من المضمون . يراها صحبةً عارضةً كصحبة الابقار والعجول عندما يجمعهم المربط في الزريبة ، دفع اليها قرب المكان واجتماع الحظيرة فيقول :

● صُحْبة عجُول لحَسْنِي ونلحَّسَك

وقديماً قال الشاعر العربي :

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقد التفت الأدب الشعبي في أمثاله الى أثر الاختلاط والمحاكاة، فاذا كان الصاحب صالحاً طاهر الذيل وطيب السريرة والسيرة

قد يعكس هـــذا على صاحبه . واذا كان خبيث الطوية سيىء السلوك فان هـــذا خطره وانعكاساته تـؤثر على الاصدقاء والملازمين له .

ويضع لنا صاحب الأمثال الشعبية كلمة لنعرف بها الناس — أين هم !؟ وما هم !؟ ويصور ما أشار اليه الشاعر العربي القديم في بيته السالف :

- اللي مَا تَعْرْفَه اعرف صحَابَه

ومن الصور الساخرة والامثال اللاذعة التي ترسم نوعـاً من الاصحاب في قالب تهكمي :

- صُحْبَةِ شِروك
- صحبة كَوّاشة
- صحبة كِرْكِيطَة

والكواشة نسبة الى « الكوشة » وهي الفرن وتصور ماذا يكون قرب الكوشة من دخان وهبـاب ، ويقصد بهـا المعنى لا مجرد الأفران .

وقد حث الادب النبوي في هذا على اتخـاذ الصداقة الطيبة والزمالة النافعة ، وقد روى في حديث صحيح مثـــل صور صاحب العطر وصاحب الكير .

والكركيطة — نوع من ألعاب الورق .. طريقـة في لعب

« الكوتشينة ». هناك « اسكمبيل » وكركيطة الخ وهذا المثل كناية عن الصحبة الفارغـة .. أي مجالس لعب ليس لهـا عمق الصداقة .

ومن الأمثال المتعلقة بالصحبة وأثرهـــا في ساعات الحرج والضيق يقول المثل الشعبي :

● الصحبة في البحر

وقد مرت الاشارة الى هذا المثل .

● مَعْرفة الرجال مدَاْخسَه

اي مخالطة وتجربة حتى يكون الحكم صائباً والرأي عنهم صحيحاً. وبالمخالطة والمعاشرة تتبين عمق الصداقـة أو سطحها . وتظهر عن طريق التجربة قيمة الرجل ونفسيته ، أما الأحكام السريعة بلا مخالطة ومعـاملة فهي من انواع التسرع غير الحميد و — المُدَاَخسَه — هنا مقصود بها المعاشرة والتجـارب ومن هذا القبيل ما يشير اليه المثل المتداول في سوق الصداقات :

● معرفة الرجال كنوز

وما دمنا بصدد الإشارة الى نوع من الأمثلة المتعلقة بهـذا الموضوع فلا نترك المثـــل الشائع الدال على وجوب التريث في الأحكام لدى الأصدقاء وأصحاب المصالح. انه طريف فيه حكمة ودلالة اذ يقول :

- مَا تُشْكُرْ فِي لِينْ تجَرَبْ غيري

وهذا المثل مرتبط بذاك والأقوال الشعبية في وجهة النظر قد يشد بعضها بعضا،وقد تتلاقى في الهدف وتتجمع لإ كمال الصورة .

بعد هذه الجولة في الامثال المتعلقة بالاصحاب ندرك أن المجتمع في ليبيا :

- يقدر الصداقة وينزلها حق منزلتها .
- يظهر أثر المحافظة على الاصحاب في الازمات .
- يحترم أصحاب والده ويستشيرهم .
- يسخر من أصحاب المنفعة والصحبة المؤقتة .

قواعد صحية

اهتمت الأمثال الشعبية بناحية هامة من حياة الانسان .

الصحة .. وقواعد التربية الجسمية والعنـــاية بالأبدان .. وتناثرت في كثـــير من الأقوال تلك المبادىء والقواعد التي بمراعاتها يحافظ الانسان على قواه وسلامة الامعـــاء وسائر الأعضـاء .. هناك نصائح وكلمات ذهبية لها وزنها في المـيزان الصحي ، تناولت المـداواة – الطب – الطعام – الشراب – النوم – اليقظة – الانفعال – السرور .

فمن القواعـد الصحية التي تفيد الجسم وتبعث على الراحة تلك النصيحة الثمينة التي بمراعاتها والتمشي عليها توجد فائـدة للبدن وتساعد على عملية الهضم :

- اتْغَدى وتْهدْى ولو كانْ عَلِيكْ الدينْ
- وتْعَشَ وتْمَشَ ولو كانْ خطوتين

واعتنى الفنان الشعبي برسم هذا المثل في هذه الصورة وقدمها

لنا في هذا الأطار بشكل فني .. فلا بد من راحة بعد تناول وجبة الغداء - مهما كانت الظروف ، ولو كانت هناك قلاقل نفسية تهدد الانسان يحاول ويعمل على ازاحتها ما امكن ، لأن الديون والتفكير فيها من بواعث القلق النفسي ، وعوامل التعب حساً ومعنى - وذلك يدمر عملية الهضم .. اذن لا بد من راحة وتهدية للمعدة بعد وجبة الغداء ، لأنها في الغالب تكون أثقل وأدسم من وجبة العشاء ، ثم لا بد للجسم من رياضة بسيطة بعد وجبة العشاء ،لأن النوم مباشرة بعد ملء المعدة ضار مضر بعملية الهضم، وقد أثبت الأطباء أن النوم بعد وجبة العشاء مباشرة مهلك للمعدة مثقل لعملية الهضم .

لا بأس من تمشية ولو خطوات يسيرة .. هذه قاعدة ثمينة مجربة ، وهل الطب الا تجارب ؟

ومن القواعد الصحية في أدب الشعب بليبيا شيء كثير يدور على ألسنة الناس تستمع اليه ، وقد تمر به سريعاً من غير تأمل ، على أن هذه الأقوال والأمثال ذات أثر في الصحة وقواعد التربية :

- باتْ دَجاجِي واُصبَحْ نعَاجِي
- ودُكْ صُبْعك فِي عِينْ اَلحجَّاجِي

فهو يدعو الى المباكرة في النوم هادئاً مبادراً كالدجاج ، ويدعو الى الاصباح باكراً كالنعاج ، ثم لا يهمك ما دمت تمتلك صحة نفسك وجسدك .. ضع اصبعك في عين الطاغية .. ولو كان الحجّاج بن يوسف. ومن الملاحظ أن في الأدب الشعبي أقاصيص

كثيرة تدور على طغيان الحجاج بن يوسف الثقفي . وقد صورته الأمثال والأقاصيص ان ظلماً وان حقاً بصورة الطاغية. كما تناول الأدب الشعبي « يزيد » بن معاوية بأساليب السخط واللعن وهذا مرجعه لروايات تاريخية – قد لا تخلو من مبالغات في العصور التي كتبت فيها .

وهنا – في هذا المثل الصحي التربوي قد يكون لعملية السجع والوزن اللفظي والافتقار الى حرف « ج » لرفد الكلمة قد يكون هذا سبب أقحام الحجاج بن يوسف واختياره دون أي ظالم آخر على بعد الزمان والمكان وهوة التاريخ .

وطبعاً – لا يهمنا في المثل هنا – الناحية التاريخية انما القاعدة المتعلقة بالصحة ونظام النوم المبكر واليقظة الباكرة . والنوم ضرورة لازمة لانتظام حياة الانسان وحيويته ، وعدم انتظامه مضر بصحة الانسان. ويحتاج الانسان الى قسطه اللازم من النوم ولكن لا الى الحد الذي يدعو الى التراخي والكسل ، فان الكثرة من النوم الزائدة عن القسط اللازم تؤذي وتضر ولا فائدة منها .

وما أطرف الاديب الشعبي عندما يسخر من الذين يكثرون من النوم من غير فائدة .. هل تسمن هل تغذي؟ يقول المثل :

● لَو كانْ النومْ سَمَّن رَاهُو سمَّن القَطَاطِيس

وفيما يتعلق بتربية الاطفال وتنظيم منامهم يلاحظ الفنان الشعبي في صياغة الامثال أن الطفل من الخطر إيقاظه عندما

يكون مسترسلا في نوم عميق ، فالإيقاظ والإزعـــاج يؤثر على أعصابه وصحته .

دع طفلك يأخذ براحة قسطه اللازم من النوم ، تزعجــه اليقظة في غير الوقت النام.. دعه ينام نوماً هادئاً

● نَوَّضْ بَعِيرَكْ وَلَا تنَوَّضْ صَغِيرَكْ

وفي آداب الطعام ، أو مراعاة قواعد الصحة يرى الطب أن ادخال الطعام على الطعـــام متعب مقلل ويسبب أدواء ومن أخطرها اضطراب المعدة.. والمعدة بيت الداء ، وهذه الامثال الشعبية في ليبيا مليئة بمثل هذه النصائح والقواعد التي ترى السير الصحيح لصحة الانسان :

● اللي يخَلَطْ ينْبِشِمْ

والتخليط في الطعام يدعو الى البشم والتخمة وما ينتج عنهما. وكذلك تناول الطعام من غير شهية وقابلية هو نوع من ايــــذاء المعدة وادخال الطعام على الطعام مهلكة ها هو المثل يقول :

● اَلماكْلَةُ بَعْدْ الشَبَعْ حَرامْ

وهل أكثر أسباب العلل في اضطراب المعدة بعد تشخيصها الا من التهام الطعام بلا شهية ولا نظام تخليط وادخال الطعـام على الطعام .

ويردد في هــذه المجالات القاعدة المأثورة التي عرفت في كل اللغات والاجيال

- النظافة من الايمان

نظافة الثوب أو المكان أو نظافة الجسد .
وفي نظام التغذية يقول المثل الشعبي :

- قليل الغَرَضْ يِتْعَسَّى مَرْتِينْ

والبناء اللائق يجب أن يكون صحياً تتوافر فيه النوافذ التي يدخل منها الضوء وأشعة الشمس . ويصور المثل الشعبي فائدة الشمس وأثرها في البناء الصحى مشيراً الى أن أشعة الشمس تطرد الآفات وتقضي على الاوبئة فهو يقول :

- دَارْ تخُشْهَا الشمس ما يخُشَهاشْ الطبيب

اذاً لا حاجة الى دعوة الطبيب والاستنجاد به .
ثم ان الانسان أدري بما يصيبه ويعرف موطن دائه وسبب امراضه ، أى أن بيده أمور المحافظة على صحته ، يستطيع أن يحافظ عليها فهو من هذه الناحية طبيب نفسه وبيده الميزان في السير ، فانتهالك وأساء مع نفسه فهو المسئول .
أنت تعرف الداء وتعرف سببه ومن أين جاء وعن طريق التجربة قد تعرف ما يصلح بك .

- الْبَنَادمْ طبيب نَفْسَه

وهناك قول متداول يكاد أن يصبح عالمياً وتسمعه من كل اللغات والاقوام عن التجارب وأثرها ، وان الطب على أصول من العلم والتجارب فيقول المثل الشعبي في ليبيا :

- اسأل مجرب ولا تسأل طبيب -

أَنْشِدْ مُجَرِّبْ ولا تِنْشِدْ طبيب

وقد يدّعي شخص شيئاً وهو يجهل أصله ومنبته وفصله. فيلسوف يحل مشاكل الناس وينبري لتوزيع النصائح بمليم ثم لا يطبقها ولا يستفيد منها ومشاكله الخاصة به معقدة .. طبيب يوزع دواء المفاصل وهو كسيح أو يوزع دواء لإطالة الشعر وهو أصلع . صور من المقارنات الطريفة ، قد يكون من الحقيقة الساخرة ما يشير اليه المثل القائل :

● يِدَّعِي الْطِبْ وِيْمُوت بالعلة

والبيت بهذه الصورة يشرح ما اشار اليه الشاعر القديم :

طبيب يداوي الناس وهو عليل .

والامراض عافاك الله انواع منها الخطير الفتاك ، وكذا الاحوال النفسية قد تكون منها درجات سهلة وحالات خفيفة ومنها ذات الازمات الحادة العنيفة ، وفي تصوير الحالات من الشدة وبلاغ مرحلة الخطر يضرب المثل بمرض خطير خبيث – الجذام – عافاك الله .

يقول المثل :

● مَا بَعْدَ الْجذام مرض

وعلى الانسان ان يكون مدركاً لمواقف الخطر ومزالق التهلكة وان يبتعد عن مناطق السوء وميادين الشر .. أما أن يتردى بنفسه ويسير الى الهاوية برجليه فلا يلومنّ الا نفسه . وقد

وضعت اساليب الوقاية وأخذ الاحتياط عند انتشار آفة وظهور مرض معد في منطقة - المحاصرة - وعدم الذهاب اليهـا وعدم الخروج منها - مع المعالجة - .

وهذه المحـاصرة والتشديد فيهـا من الاساليب الواقيـة والاجراءات السليمة، وقد سبق الرسول بحديثه العلماء العصريين في قضية الحصار ومنع الاختلاط. فاذا وقع طاعون في بلد حرم الذهاب اليه ومنع الخروج منه . وها هو المثل الشعبي في ميدان الاحتياط والحذر وأخذ أساليب الوقاية يقول :

• اللّى يَعْرَفْ دَارْ الْوَبَا وِيْجِيهَا يْمُوت بــلا شَهادة

والشهادة أسمى ما يعتز به الانسان المؤمن .

ومن الامثال المتعلقة بالحذر والوقاية ويضرب في مدى تأثير عوامل الشر والاشرار يقول :

• الجرب يعْدِي

وقد يأتي المثل في نقطتين ويقول :

• الْخُلْطَة بَلْطَة ، والْجَرَبْ يعْدِي .

ويجب المحافظة على جسم الانسان ، على عوده ؛ فان اصابة عود الانسان بمرض قد يطول علاجه ويسرى في المفاصل والعظام . فليحذر أن يصاب الهيكل بشيء فان مرض المفاصل والاعضاء قد يدفع الى ألوان من الاخطار والامراض .

والمهم في التجارة والصناعة ايضاً رأس المـال والكيان الاصلي أما الفروع والمكاسب فانها تذهب وتجيء وترتفع وتنخفض ويمكن تعويضها .

على وجه الاجمال . وعلى صفة الاطلاق .

في الاقتصاد والفن والصحة حـــذار أن يتطرق الخلل الى الهيكل، الى الجسم، الى الدائرة التي ينتج عنها اصدار العمل ، أما ما وراء ذلك وبعد ذلك فقد يُعَوَّض :

● انْ سَلِمَ العُـودُ فاللحم مَرْدُودْ

وفعـــلاً كثير من الامراض تذهب باللحم والسمنة والمظهر وعند سلامة الهيكل والعود تعود الصحة . واللحم والشكل الظاهرى يُردَ قد يكون بأحسن وأبهى .

وهناك طبيب الانسان وطبيب الحيوان - البيطري - .

وقد عرف المجتمع الطبيب القروي والطب بالتعازيم والرقى والطب عن طريق الفصد والكيّ .

وطبيب يحمل في أردانه تذكرة داود يتفحصها ويطبق سطورها.

وأطباء البيطـرة في القرى والصحارى كثيرون لهم خبرة ولا سيما أطباء الخيل .

وهناك مثـــل طريف يضرب لمن يدعي العلم بالشيء وفي الحقيقة لا يعرفه :

● طبيب الخيل مِنْ عند رُوسْها

ويذهب الانسان للعلاج والبحث عن الشفاء ولا يهمل مرضه

بل يتجرع الدواء ويستمع للنصائح التي تصف له المواصفات والعلاج. وهنا مثل يدل على الاهتمام بالطب والاقبال على الدواء والكشف الطبي. انه يقول ليدفع اليأس ولئلا يهمل أمر الدواء والعلاج :

- خلق الدا وخلق له الدوا

البنات في نظر الأمثال

عنيت الامثال الشعبية بمختلف النواحي في المجتمع .

وسجلت نظرة المجتمع الى الحياة العائلية وما يتعلق من حقوق وواجبات ونظام تربية الولد والبنت، وسجلت نظرة المجتمع للمرأة والعادات والعرف في الزواج ، وتحدثت عن االافرح والطلاق .

ومن خلال مجموعات الأمثال تستطيع ان تلمس وترى نفسية الشعب وصوراً من تقاليده ومدى أحكامة وعرفه وعاداته . وبطبيعة الحال لن تكون هذه الامثال حكماً صائباً وعادلا دائماً ولا هي بالقانون الذي لا يمكن أن يتغير. فنظرية كانت منذ أجيال أو في فترات خاصة لا يمكن ان تصلح بعد ظهور التطور والتبلور ونشر الوعي الثقافي ، نما على كل حال هي أقوال كانت ـ ولا زال الكثير منها ـ تنعكس عليه نظريات ونفسيات . فهناك بعض أمثال قد تكون نتيجة لرواسب جاهلية نحو البنت . هذا المثل القائل :

● البنات زِرِيعَةْ ابليس

اذا أردنا أخذه على ظاهره وكما يتبادر من مفهومـه لأول وهلة وجدنا هذا لا يتفق بأية صورة مع روح الشريعة الاسلامية الغراء .. لا يتفق مع قانون السماء والارض . بل لا يتفق هـذا القول مع غريزة الحنان الابوي والنظرة الانسانية ـ زريعـــة ابليس ـ هل يقصد المثل ما كذب به الدجاجلة مـن قول هراء ورد في بعض الاشعار ونسبوه للرسول كذباً – دفن البنات من المكرمات – وهذه الشطحة وردت في قصيدة أيضاً لابي عبادة البحتري عندما أراد أن يرثي ديواسي أحد الامراء بوفاة ابنته.. فلذة كبده .

فقال : دفن البنات من المكرمات .

هذا كذب.. هذا غلط .

وقد سألت عن هذه القولة في الادب الشعبي الزاعمـــة بأن البنات زريعـــة ابليس ما سببها والى أي شي ترمز ؟ وكان في الجواب ما أزاح النظرية الجاهلية من الطريق قالوا ـلان البنات تكبر بسرعة وتنفرع بسرعة أكثر من الاولاد.. فمن هنا– من سرعـــة النمو كان المثل والتشبيه.. وقد أكرم الادب الشعبي البنات وأوصى بهن حناناً وصور كسيرات الجناح .

● البنت أم والوَلْد كُمْ

فـاذا كانت أما في الغد فالعناية بها واجبة لازمة . وهـذه

البنت من طبعها الحنان والعطف ورقة الوجـدان والمشاعر. يلمس هذا كل بيت فيه بنت، وبهذا ينطق الأدب الشعبي ويؤكد في قوله إن البنت ذات عاطفةرقيقة ،ويشهد بهذاالمثل الدائر أنها ذات عاطفة مثالية :

● البنت حَنُونَة

ومـــن طبع البنات ولصوقهن في البيت بجوار أمهاتهن أن يتصرفن ويقلدن الام في اللباس والتصرفات.. تحاكي البنت أمها لأنها مثلها – قعيدة البيت . أما في العصر الحديث فقـد يسمح لها الزمان بتقليد ما تراه عند بنات المجتمع من الزميلات.. أو الاقتباس من مجلات الازياء ودور العرض.. أما ما رسمه المثل عن البنت في المجتمع فهي :

● البنت ضُرةْ أمها .

وفي المصاهرة يبحث الناس عن بنت فـلان وبنت علان .. وكم من ذميمة زفت لعريس من أجل اسم والدها واسم عائلتها. وكم من جميلة ظلت تبحث عن الحظ وفارس الاحـــلام فليس عندها اسم يسرع بها الى ليلة الزفاف . مجتمع يبحث الناس فيه عن الاسم والمنزلة قبل البحث عن التجاوب ومـــا هي نفسية العروس،ولهذا يقول المثل عن البنت وسبب الاسراع بالزواج:

● بنت المُفَوّزْ على ْعيُون بُوهَا ِتتْجَوّزْ

ومن الأمثال المتعلقة بتربية البنات ، وأن تربيتها تكون في

مرحلتين في بيت أبيها ثم في بيت زوجها .. فهناك جو جـديد وحياة جديدة تحتـاج الى تغيير في العادات والطباع بما يتناسب والحياة الزوجية، ويقصد المثل أن على البنت أن تفكر في حياة البيت وأن ترسم لجوها الجديد مع ما يتناسب مع الرجل ويبعث على السعادة .

● البِـنْتْ تتربى مَرْتِينْ ، وِحْدَة عند بُوَها ووحدة عند راجِلْهَا

لأن البنت اذا استمرت على نظرتهـا الاولى للحياة فشلت في سياسة زوجها .

وهناك كلمة غريبة على السمع لأول وهلة ، ولكن اذا تأمل الانسان ظروف بعض الناس ومآسي بعض العائلات أدرك أن الباعث على هذا حالات وتجارب واقعية في المجتمع :

● اللّـى عِنْدَه البنات يناسِبْ الكلاب

وليس هذا قاعدة عامـة وحكماً جماعياً .. بل هناك سعداء وهناك أشقياء فالسعداء الذين وجدوا لبناتهم رجالاً بنوا العشَ الهادفَ والبيت السعيد .. فكانت الحياة العائلية المطمئنة .

وهناك حالات عكسية يقع الرجل في صهر عربيد أو شاب لا يقدر معنى لحيـاة البيت،وتعيش البنت في قلق وازعاج ويجر هذا قلقاً واضطراباً على والد البنت وأمها . وفي مثـــل هذه الحالات التي يعتز بها الانسان أو يوقعه سوء الحظ في هذا في انفعال

وغضب يصدر حكمه هذا.. اللّي عنده البنات يناسب الكلاب..
وقد يكون مرجع هـذا القول ومبعثه أن بعض الرجال الذين لديهم كثرة من البنات ولا يجـــد لهن خاطباً فيضطر لظروف قاهرة مصاهرة من لا يستحق مصاهرته ، فقـد ينطبق عليه هذا القول من زاوية .

وعلى كل حال ليس هذا المثل قاعدة ولا نظرية دائمـــة في صدقها بل هو قول له لـوس وحالات من الظروف الطارئة .

وهذا مثل يدل على التفـــاؤل بمن يرزق بنتاً فلا يمتعض كما يصنع الجاهليون بل هو يتفاءل ويقول :

● بُو البنات مَرْزُوقْ

وتسمع من يرزق في أول خلف بنت وتكون بكرته .
يقولون له هذا المثل .

وان دل على شيء فهو عـــلى الترحاب والاطمئنان وحب البنـــات . ومن الـكلمات الدالة على الحنان والعطف ما يقوله الناس في أحاديثهم مقدرين الأولاد والبنات ، وان الذرية سلوى القلوب والأرواح ونياط القلوب :

● الذُرِيَّة دُوَا ارِيَّهْ .

المرأة في نظر الأمثال

ونظرية الامثال الى المرأة فيهـا الوان تكشف عن جوانب محقة مضيئة ولا تخلو في مجموعها من أمثال اخرى خافتة ومجحفة. هناك في مسرح المجتمع وعلى ألسنة الناس — لان الامثـال - كما سبق ان اشرنا ليست وليدة عصر واحد ولا صـادرة من ألسنة واحدة بل هي تراث أجيال ومقولات طوائف وأنواع .

ونحن هنا نستعرض بصورة مسرعة بعضاً من هذه الجوانب فيصور المثل الصلة بين الرجل والمرأة في حالة الغضب والمنازعات الزوجية التي لا يخلو منها بيت فيكون في تصويره طريفاً :

- الْـمَرَا وْرَاجِلْـهَا شيطانهم حَنِينْ

والحجاب ضارب اطنابه في البيوتات. تسدل المرأة حجابـاً صفيقاً وهي بحكم العادة والتقاليد المتوارثة قعيدة بيت ملازمـة لحوائطه ولذا يراها المثل :

- الْـمَرَا قَعَّادة حُوشْ

وفي عبارة أخرى

وقد يقصد به انها هي ميزان البيت ولديها تعديله ، وحفظ توازنه أما في لحظات الانفعال وضيق الصدر فيبدو للفنان الشعبي خرافة يظنها حقيقة ويشير لاسطورة يظنها واقعية .. فقد زعم الاقدمون أن أبا البشرية آدم رأى في منامه شيئاً وأخرج حواء من ضلعه اليسرى العوجاء .. وسرت الاسطورة عبر الاجيال والامم حتى جرت على لسان صاحب المثل الشعبي :

- النسَاوِينْ مِنْ ضُلْعَه عوَجه

وقد يبلغ به سخطه حداً ان يقول مقارناً رأى المرأة بما لا يصح ان يقارن به :

- لا تَاخذ رَايْ المرا ولا تْبَعْ الحماره مِنْ وَرَا

وهذا ظلم واضح وقول يجب ان يحذف من قاموس المعاملات في حياة المجتمع ولكن أثبتناه لأن بعض الألسنة في لحظات الانفعال تلوكه وهو من رواسب عصور مظلمة .

ومن نعم الله ان هذا قول لا يطبق في المجتمع الواعي الناضج.

واذا اراد ان يتحدث عن شيء انتهى وقضية تمت ولا أثر ولا داعي للاطالة ، يعبر عن هذا بقوله :

- مَرا حَرْجَانه رَوْحت لِدَارْهَا

ثم هو يحذر من اربعة اشياء تبعث على القلاقل وتتعب الانسان قائلاً :

- من الاربعة بَارِيكْ ـ أي تبرأ ـ أبرئك ـ احذر

الضَمَانَه ـ الْمَرا حِرْجَانة ـ وبَرَّا لِينْ نَلْحقكْ ـ واقْعُد لِينْ نْجِيكْ

ولسان المرأة يضرب به المثل في كل الشعوب، والمرأة مضطرة للدفاع عن نفسها وحقها بالدموع احياناً وباثارة العاطفة والثرثرة احياناً. وطول اللسان وهو سلاح فتاك والمثل في ليبيا يقول:

- اسْلاَح المَرا لسَانْهَا

وهناك مثل ينسبونه الى جحا فقد وجد امرأة أتى بها الوادي فتزوجها ولكنه لم ينسجم معها وسلطت عليه لسانها وغضب وقال:

- الْمَرَا حرْفَة ولو جَابْهَا الوَادِي

ولا حاجة للتأكيد والضغط على بعض الكلمات لنشير الى ان هذه ليست قواعد وانما هي تعبير عن حالات وصدى لبعض الانفعالات. والا فان المجتمع في ليبيا يقدر المرأة ويحترم حياة البيت وهناك عديد من الامثال تؤكد هذا.

التّاريخ بالأحداث

عرف الادب الشعبي في ليبيا التاريخ بالاحـداث ، أعوام تؤرخ حوادث وقعت في البلد .. من هزات وغزو أو ظاهرة طرأت . ولا عجب، وهل التاريخ بالاعوام في شتى منحنيات التاريخ الا اشارة وتسجيلا لحوادث هامة وقعت ..

عام الهجرة .

عام الفيل .

عام الميلاد

وترى المواطن في المجتمع الليبي يؤرخ بحادثة هامة في محيطه من عصره .

كم عمرك يا فلان ؟ فيكون الجواب :

أنا من مواليد عام الهاني وغيره في الخارج قد لا يعرف عام «الهاني» أو «القرضابية» ولكنها في المجتمع الليبي وتاريخ الشعب الليبي حدث هام وموقعة شهيرة جديرة بالتسجيل .

وهكذا نرى في هذا التـاريخ بالحوادث لونـاً من زوايا الاحداث وآثارها .

واليك لوناً من هذا في محيط الادب الشعبي وتاريخ الشعب.

● عام الوادي.

عام ١٩

حيث انسال الوادي كسيل العرم يهد كل بناء ويقتحم ما أمامه حتى أهلك الزرع والنسل ولا زال الشيوخ في طرابلس يذكرون غزو الوادي واندفاعه.

وأطلق اسمه على شارع «الوادي» وكان يطلق عليه قبل ذلك «سوق الحطب» ثم هو اليوم شارع عمرو بن العاص.

● عام المغاربة.

عند احتلال الفرنسيين لتونس وقدوم المهاجرين من تونس الى طرابلس.

● عام الجيش.

● عام الزِنْقُو.

قطعة من الصفيح « الزاينقو » تعلق في الرقبة وتوضع فيها البطاقة الشخصية ليعرف بها الشخص صنعها الطليان عام ١٩٢٥

● عام الهَانِي.

المعركة الخالدة التي دارت بين المجاهدين وقوات ايطاليا في اكتوبر ١٩١١ والهاني موقع يبعد حوالي ١٦ كيلومتر عن مدينة طرابلس.

● نهار السبت . نهار الاثنين .

كلها تشير الى معارك خالدة خاضها الشعب ضـــد قوات الاستعمار الايطالي وكانت تشرف تاريخ البطولات والنضال واستشهد فيها كثير من الشباب والرجال حتى ان المثل الشعبي يقول :

التريس (اي الرجال) ماتت يوم السبت ، ومثـل آخر : التريس ماتت يوم الاثنين .

● عام الصحابة .

اشارة للقدم أي من عهد «الصحابة» .

● عام العثمانلي .

أي انه قديم من عهد الحكم العثماني .

● عام الحلو .

ويقال له عام الشر أي المجاعة حوالي ١٩١٦ - ١٩١٧ م .

● عام الفِـكْـرِيسْ .

جذور النخل تنشر ثم تدق ويصنع منها طعام وكان خطراً على الامعاء وانتشر منه المرض ولكن الجوع والشره دفعهم لهذا أيام مقاومة الاستعمار .

● عـــام الفارينه

ويقول فيه الزجال :

عام الفَارِينَـة والرز اَلجيّـْد عن ضِيفَانَا عَـزْ

- عام الفارينة .
- عام القرضابية .
- عام الزلزلة .
- عام القرامات .
- عام الحرية .

حوالي سنة ١٩٢٠ عند صدور القانون الاساسي .

- عام الجرة .
- عام الدستور .

١٩٠٨ .

- دخول الطليان .

ويختلف حسب المناطق والبلدان في ليبيا ولكن الهجوم بدأ سنة ١٩١١ .

- عام صَابَـــةْ الحمير .

حيث اضطر الناس للحرث على الحمير .

- أيام الْتَسْكِيرَةْ .

في عهد يوسف باشا القره مانللي التجأ جنده للمنشية والساحل وأخذوا في حصار مدينة طرابلس ثلاث سنوات مع محمد بـك

حوالي سنة ١٢٥٠ هـ .

- عام سواني بنيـادم .
- أيام الصُّلَح .
- عام المركب .

كان مركب تجاري محملاً بالسلاح والذخـائر وقرب الحدود التونسية أمسك صاحبه ورفضت السلطات الفرنسيـة السماح له بدخول طرابلس وأمسكت « الرايس مفتاح » . وبعـد فشل محاولات الدخول صمم على أمر .. فدخل المركب وكان معه ١٥٠ رجلاً وأشعل النـــار في البارود بما فيها وكان ضمن الضحايا .. بيدي لا بيـــد عمرو . وسمع صوت الانفجار في جميع الموانىء والسواحل القريبة واهتزت المدينة لهذا وأرخ الناس بعام المركب ، وكان قبل هجوم الطليـان بحوالي أربع سنوات وذلك في أيام حصاد الزرع على ما يذكر الشيوخ في البادية .

وهناك مبالغات في تصوير القدم ، فيقال كناية عن تطـــاول المـــدة :

- من عهـــد نوح .
- من عام آنست بربكم ـ وهو تحريف للآية ... ألست بربكم قالوا بـلى .
- من عام جْهِيرْ البحر ـــ أي حفر البحر

الفروسّية والخيل

والمواطن في المجتمع الليبي، شأن الرجـل العربي في كل مكان وزمان، يكرم الفروسية ويمجد الرجولة ويحب الخيـــل ، يعتز باقتنائهـا ، ولذا تراه في أدبه الشعبي ينظم المطولات من الشعر والاراجيز يصف بهـــا الفروسية ويسرد في بلاغة واسترسال أوصاف الخيل من الجيـاد الكريمة الاصيلة وينمق في اوصـاف الفروسية .

والادب الشعبي لا سيما في مواطن الصحراء بليبيا غني ملآن بهذه التشكيلات من فنون الوصف والتصوير في مقاطع ارتجالية وفي المناسبات من أعياد وأفراح الصحراء .. أهازيج نابعة من حس دفاق وشعور فطري .

وهنا في هذه السطور الموجزة نود ان يشاهد القـارىء لمحة خاطفة عن أثر الخيل وحب الفروسية في امثال الشعب .

وهذا – في الواقع – باب واسع ، وخضم متلاطم الأرجاء لا بأس ان نأتي منه بقبسات .. وصور سريعة من الامثلة :

• فارس.

هكذا بدون اضافات واطنــاب في الوصف .. ينطقهـــا الانسان في تنغيم وتمديد. يقولها في نبرة اعجاب عندما يريد ان يصف صاحبه بالرجولة ويمتدحه بالاقدام والهمة وصفات المروءة.

وهل أدل على مكانــة « الفرس » عند المواطن من قوله في الامثال السائرة والقواعد المتعارف عليها في المجتمع :

• أكرم الفرس قبــل الضيف

والخيل يباهى بها . ويعتنى بها . وهناك من يتفنن في لجــام حصانه فيجعله من الفضة الخالصة، وحتى البردعة التي تعلو الخيل يجعلها من قماش ممتاز و نقوش من خيوط الحرير. وقد يجعل الركاب من ذهب خالص .

ولأبناء البادية غرام بهذه المقتنيــات ويتفاءلون بالخيـــل وببطونها، ومن لا يمتلك فرساً ولا حصاناً فهو الفقير المدقع، قد يتوارى من المجلس ويعتبر مسكيناً، أما الرجل ذو الحيثية لا بد ان يمتطي ظهور الخيل ويمتلك عنان الخيل ، وتبعث الفروسية في النفس اعتزازاً

• الخيل وجوهن عضــام

وللخيل فن. وركوب الفرسان طرق وآداب. نظم رياضيــة متعارف عليها. وقد تكون الفرس أو يكون الحصان جيداً أصيلاً ولكن ماذا يجدي عند الانطلاق اذا كان الراكب والممتطي

صهوته غير فارس ولا تمرس ، وقد تكون الفرس من نوع رديء أو من نوع جموح. ولكن يستطيع الفارس ان يسيرها، ان يتحكم فيها ولهذا يقول المثل :

● الفرس علَى رَاكِبْهَا

أي أمر سيرها وطريقة توجيهها .

ان الامر في تحكمها متروك لهمة وفن الراكب حسب مقدرته ومرانه .

وهذا الفارس الذي يأخذ بمجامع القلوب ويثير الاعجاب تراه ينطلق كالشهاب في خفة ، يجري في جرأة ويتلاعب في رشاقة رياضية . تراه يشق الغبار وفي لحظات يتوارى عن الانظار .

هذا الفارس الذي يأتي بالألعاب العجيبة يهلل له الرجال وتزغرد له النساء وتعجب به العذارى . الفارس الذي يصد الأعداء ويحمي الديار .

أتراه جاء من يومه فارساً .

لا .. بل لقد مر بأدوار .. وتدرب .. وسقط مراراً على خياشيمه واهتزت مفاصله حتى تعود على الانطلاق وغدا فارساً يأتي بالعجب العجاب من أنواع الكر والفر ، والحياة في كل دروبها وفنونها .. مران.. تعود .. محاولات .. والنجاح لا يأتي دفعة واحدة وليس بالأمر السهل .

يصوغ هذه المعاني ويبلورها المثل الشعبي في كلمة مركزة

عن الفروسية :

● مَا تفَرَّسْ لِينْ تهَرَّسْ

أي ما أصبح فـارساً حتى تهرّس - في أيام المران وفترات المحاولات .

وعند السخرية من انسان ومن ألفاظ الهزء في قالب الشتم أن يقول لصاحبه في اللامبالاة :

● يَا فَارسْ مَالَكْ عَجَاجهْ

والعجاجة من العجاج وهو الغبار ، وعادة الفـارس عندما ينطلق يخلف وراءه غباراً ونثاراً وهذا بشار يقول :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ويقبل الرجال على ركوب الخيل وتراهم شيباً وشباناً يغرمون بالفروسيـة وتقام حفلات السباق وضرب البارود ولا يستطيع المتعود على امتطـاء صهوة الخيل أن يمنع نفسه - ولو جلّله الشيب - من ركوب الخيـل والانطلاق بها . انه عندما يراها ويشاهد الحلبة يشوش ويحن واذا ما قلت له :

أنت شايب .. كبير السن كان جوابه هذا المثل الطريف :

● الشايِبْ فوق ضهور الخيلْ ما هُو شَايِبْ

هِنْ رُكْبتْه والعِينْ يَشْبَحْ بِيهَـا .

انها بمثابة الرجلين وعينيه ينظر بها لأن عيون أهل البادية

صافية براقة ، وأنت تستطيع أن تعرف جودة الشيء من أول نظرة – من أول تجربة – من أول وهلة: هل هذا معدن جيد أم مزيف رديء .

الجودة لا تخفي نفسها .

والرديء لا يمكن أن يتوارى أو يخفي نفسه ولو كان مطلياً مغرياً ، وهنا يشبه الأدب الشعبي بأدوات الفروسية والسلاح فيقول عن هذا :

● السيف من جَبْدَه والخيـــلْ مِنْ رَدَّه

والذي يستطيع أن ينطلق بالفرس – ويلهد – هو صاحب الفرس،أما من يكون آخذها بطريق غير مشروع فلن يكون مطمئن الخاطر. فالسارق لا يستطيع أن – يلهد – وينطلق بها مشواراً لأنه يكون في حالة تردد وذعر من ناحية،ولا يعرف أن يسوس الفرس التي ليست له بطبيعة الحال فالمثل يقول عند ذاك:

● الخَانِبْ ما تَلْهَدْشْ بيـــه فرس

ويضرب المثل لمن يستغل الاشياء التي ليست له والتي لن توصله لهدفه والذي يقحم نفسه فيما ليس من اختصاصه أنه لن تصل به السفينة الى شاطىء الأمان .

ويمتدح الادب الشعبي الشجاعة ومعاني الرجولة ويدفع الى النخوة والاعتزاز ، وينفر من الجبن والمذلة ولهذا يقول في الحث على الشجاعة والفروسية :

● موت تعيش

أي مت في سبيل الحق والوطـن والواجب تعش موفور الكرامة ويعش قومك أو تعش ذكراك .

والمثل الشعبي يرى أن الرجل مكتمل الرجولة من شيمته أن يصلب للأحداث وأن يواجه الازمات وأن يناطح الزمان :

● الرَاجل يكُون كَبْش نطَاح

وشأن البيئات التي تعيش بالروح الجماعية وتعتمد على التآصر فالفرد وحده لا يخوض المعمعة بلا رجال، بل لابدله من مؤازرة ومن يشد ظهره ويقف في صفه . وكانت - المعاطن - والآبار في جوف الصحراء التي يستقي ويرتوي منهـا الناس والابـل لا يستطيع أن يردها الفرد وحده بل يردها جماعة شأن الحياة الصحراوية فيقول المثل :

● مهبول من يِردْ الْمَعَطن بلا رْجَال ويخُش العَرْكَة بلا رجـــال

ولا بد أن يكون سلاحك جيداً قوياً حتى يرعب ويرهب . أما السلاح المفلول والدرع الرديء فلا يخيف إلا الجبناء الرعاديد، وفي حالات - من بعيد - قد يخوف العـدو ولكنه لا يؤنس صاحبه . أما سمعت القائل :

● السلاح العافن ايخوف العدو وما يونسش صاحبه

هل هذا فحل ؟ هل فيه قوة وجرأة ؟ هل هناك دليل ؟ المثل يقول ليدل على أن الفحولية لا تخفى بل تظهر في أي شكل :

● الفحل يِهِدْ رُوحه

ان النشاط يدفعه الى المصارعة واظهار حيويته أو أن الفارس قد يتعب من المحاولات حتى يكاد أن يهد نفسه فلا يرضى بالاستكانة .

ولا تستغرب أن يظهر الذكاء والالمعية في سلالة وأن تبدو ملامح النجابة في عائلة مشهورة أو أن تظهر على الفرس معالم النشاط وصفات الخيل الكريمة لان هذا التوارث قد يظهر من طبقة بعيدة أو في أنحاء مغمورة. وهناك مثل شعبي يدل في صياغته على أن الوراثة الجيدة لا تستغرب ما دامت البطون ما زالت تخلف والمواليد تأتي . ويقارن المثل بين هذا في سلالة الفرس من الخيل وسلالة الناس .. لا غرابة في ظهور النجابة ولا عجب :

● المَرا تجِيبْ والفرس تجيب

أي تخلف الذكي وغير الذكي .. والاصيل وغير الاصيل . لا عجب في قواعد الوراثة ، وملامح النبوغ عند سفحه أو أعلاه في الذروة .

ومن طرائف التشبيهات عند العامة قد يشعر بها انسان — وصفهم للرجل الجريء بقولهم « حصان ». قد يراها بعض الناس شتماً في المدن ، امـا انا فقد سمعتها تطلق مدحاً ويوصف بهـا الجريء. وقد كنت ألقي خطاباً حماسياً في المطالبة بالاستقلال والحرية قبل اعلان استقلال ليبيا ، وبعد الفراغ من الخطـاب سمعتهم بقولون في اعجـاب - حصان - والله حصان وكدت أغضب لولا أني فهمت ان -حصان- لقب الفارس الجريء ومن صفات المدح عندهم .

وعندِ التحدي وانت تريد ان تظهر براعتك والامر متروك لك ان اردت ان تجـاري وتثبت جدارتك مثله يقول صاحب المثـل :

● هَادَا حْصَانكْ وِهَادِي الْسِدْرة

اي دونك..وهات الدليل..هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين.. هات ما يثبت جدارتك . شمر عن ساعدك .

الوَراثـة - الأثـر - التَقـليـد - المحاكاة

رسم الادب الشعبي عن طريق الامثال أثر الوراثة وخطرها وصورها في عديد من الصور، وحذر من المحاكاة في التقليد الضار عند مصاحبة الاشرار .

وفي ميدان الوراثة استعمل الامثال والتشبيهات في حياة الحيوان والانسان. وهنا نضع للقارىء نماذج من الامثال مجرد نماذج يسيرة .. هذا ولدك فلذة كبدك. أنت مسئول عنه وعن توجيهه . تربيته على عاتقك. مسئولية تكوينه الخلقي والاجتماعي فاختر قبل ان يولد من يكون أخواله .

وبعد شد عوده ويفاعته .. لاحظ من يكون رفاقه .

في أي وسط يعيش.. شيء من الملاحظة .. شيء من التوجيه في غير عنف ولا عناد :

- ولدك من رفاقته
- خُودْ لِوِلْدَكْ خال

● الولد خال

هكذا تقول الامثال.. هكذا يصوغ الادب الشعبي نظرياته. ثم أرأيت الحمام البري انه بطبعه لا يعشش الا في الاطلال والخرائب ولذا ان سرت مع جماعة طيبة لن يكون هناك ضرر أما اذا أردت مصاحبة الاشرار فأين مصيرهم وخطاهم الى اين تدفع ؟

● تَبّعْ الحمام البِري يوَرِيك الْخِربْ - وفي صياغة الخراب.

وهذا العرق في الانسان دساس - وقد أثبت العلماء الوراثة ان الوراثة في أثرها ومفعولها وحميد صفاتها وذميمها لا تذهب.. لا تضيع ولكن قد تختفي ولا تظهر في طبقة او فترة ثم تعود للظهور في طبقة وعنصر. يصور هذا المثل في الرجوع الى الأصل وجاذبية الدم وسلطان الوراثة وقوة فاعلية المنبت :

● يْكَسْكِسْ لَه ويرجع لأصله

والبنت التي لا تستحي من اين جاءت بهذا.

يرى راسم المثل ان هذا قد يكون للأم أي ليس ولا بد ان تكون اخلاق الأم هكذا فكم من بنات غير مستحيات كانت امهاتهن على غير هذه الصفة وتلك السيرة. ولكن قد يكون سبب هذا اهمال من جانب الأم في الملاحظة والمراعاة وشئون التربية وحزم التوجيه والإهمال خطر.. والسبب الأول في الإهمال هي الأم، عليها أكبر وأخطر مسئولية في مستقبل البنت

وهذا المثل يقول :

● الغرَارَة مَا تطِيحْ علَى فَمْهَا والبنت اللّى مَـــا تَتْحَشْمَش لامها

لأمها عن طريق التقليد والوراثة أو بسبب الاهمال وعدم التوجيه .

لن تستغرب فرعاً اذا فحصت نوع الشجرة .. لن تتعجب من سيرة الأبن اذا عرفت المنبت والمحيط.. للأصل تأثير.. وأي تأثير . أرأيت هذا التساؤل وهذا الجواب الهادىء المسكت :

● قَالّه منِين هَا الفرع !؟

● قَالّه مِنْ هَا الشجرة

ومرة أخرى .. لا عجب. ويذهب الأدب الشعبي تاركاً التشبيه بالاشجار والفروع الى السيل وما يخلفه وراءه وايضاً هو في محيط الأثر والتأثير :

● السيل ليه جُرّه

حكمة موجزة تحمل في طياتها معاني وتدل على حقائق . وعديدة الأمثال الشعبية المتعلقة بأثر الاصحاب في الحيــاة الاجتماعية—قل لي من تعاشر أقل لك من أنت وما هو اتجاهك— وقديماً قال العرب :

من عاشر قوماً أربعين صار منهم .

والمثل الشعبي في المجتمع الليبي يقول :

- حَادِي قوم تصير منهم

ويترك الفنان رسم المعاني عن طريق التشبيه بالاشجار والسيل وظواهر الطبيعة ونراه يتجه الى الاثر الوراثي في الحيوان يصنع هذا لعله يتصيد تصويراً يلامس المشاهد المحسوس .

- ولد الفار يطلع حفَّارْ

فهل رأيت فأرا لا يحفر ولا يقرض كتبك .. الشيء من معدنه لا يستغرب .

ثم يتجه مرة أخرى الى الانسان ومحيطه ورفاقه وأثر المحاكاة والتقليد وتطبع الناس بأجوائهم العائشين بها فيقول المثل :

- وِينْ خلاَّكْ بوكْ يلقاك

ان كان في محيط طيب والا فالعكس ، أي حسب توجيه التربة الاولى والغرسة الاولى .

هل في حقل غرست الثمر المفيد أم في مستنقع وأوحال . النبتة الأولى .. الغرسة الاولى مرحلة خطيرة ستؤثر على الانسان في مراحل حياته .

ويقول لسان المجتمع في الوصف عند المدح اذا سألوه عن انسان ومنزلته الاجتماعية :

- ولد ناس

بهذا الضبط والايقاع يكثر التعبير وتصبغ صفة التبجيل .

واذا أراد أن ينصح بترك الشر ويحـذر من عواقبه فينصح بترك لوازمه وآلاته .. يقول المثل :

- إِنْ كَانْ تِبّى تُتْرك الشُرُبْ اترك نَاسه

ثم هاهو يصوغ مثلاً آخر في هذا المعنى محذراً من الاقتراب من عوامل الانزلاق :

- اللَّلي يْحَادِي يْحَادِي الغُرْفْ أما المطابخ يْشَوُّهو.

التربية

الذي يتربى في النعمة وينشأ في الخير لا يكون من طبعه الهلع والجزع لا يكون على حد تعبير العامة « مفجوع » بل يكتفي بالقليل لأنه معتاد على أساليب الخير والنعماء، مستحدث أما النعمة فقد يسوء سلوكه ويفقد توازنه ويصاب بالاضطراب في سيره .. عن طريق الهلع أو عدم القناعة هذه الظاهرة يلتفت اليها المثل الشعبي ويسوقها في هذه الصياغة في مثل بسيط معبر:

● المتربي في الخير بشم أيده يشبع

ثم ان التوجيه في التربية يعتمد على وسائل وأساليب . حقاً هذا، ولكن قابلية التربية اتجاه الميول الطبيعية نفسية الخير والشر في غرائزها الاولى هناك من هو مطبوع على الخير ومن هو مطبوع على الشر .

هذا شيء عميق الغور قد يعجز عنه مجهر العلم وفلسفة المباحث والدراسات قد تظهر غرائب في محيط الجريمة والشر ، قد تلاحظ ابن أكارم أفاضل غدا مجرماً وابن وسط بسيط ينشأ

سليم الطوية وطيب السيرة .

فالتربية في غرائزها قد لا تخضع لمقياس ، يحار الفيلسوف الشعبي كما حار فلاسفة أفذاذ قبله في التعليل وايجاد القياس المطرد في فهم فلسفة النفس وظواهر عدة في الاتجاه والتربية، ويسلم صاحب الأمثال قانون التربية والنشأة الطاهرة أو الشريرة الى قوة أكبر فيقول :

● المتربي من عند ربي

وليس هذا معناه أن الانسان شرير بطبعه وأن الانسان خير بطبعه والا نفض الانسان المربي والدارس يده وترك الأمر على عواهنه ، بل من ناحية البذرة الاولى وقوة الغرائز وطبع الميول ، أما التوجيه والتقويم . أما وضع المناهج للأساليب والإصلاح فهذه أمور لا بد منها ولا محيص عنها لإصلاح المجتمع .

ثم ان الامثال الشعبية المتعلقة بالتربية تلاحظ أن الامر ليس متروكاً في التوجيه لحنان الام فقط وعطف الاب، فقد يصادف أن يفقد الانسان دفء البيت ودلال الاسرة ثم بحكم الظروف وعوامل الدهر يتربى مصقول النفس قوي الارادة ويكوّن، ذاته تكويناً نافعاً عن طريق التجارب وممارسة شؤون الحياة والاستفادة من الهزات والصدمات . مدرسة الزمان قد تقوم بالدور الاكبر في تربية بعض الناس ، ودنيا الاصلاح . وفي حكمة أخاذة جذابة ،

جذورها من التجارب وصورها ملاحظة في المجتمع يقول المثل الشعبي :

● اللّى مَا يْرَبيه بُوه وأمه يْرَبُوه الايام والليالي

وقد يعطف الانسان على الغير ويحتضن من أبناء الناس من يقوم بتربيته والعناية به ، ولكن ما ان يقوى ساعده ويصلب عوده ويخرج الى مباهج الحياة حتى ينأى بجانبه وينسى المعروف وينكر جاحداً الفضل فلا يستفيد هذا المربي العاطف شيئاً من مجهوداته التي بذلها في تربية ابن الناس . صور قد تشاهدها على المسرح الكبير في خضم الحياة .. المثل ازاء هذا يقول :

● يا مْرَبي وِلْدالناس يَا رافَع المي في الْكِسْكَاس

والكسكاس بلهجة ليبيا وبلاد المغرب هو المصفاة . ولكن هذه الصورة أو هذا القياس ليس على طول الخط وعرضه ، فقد يقوم انسان بتربية ولد الغير فينفع وينتفع ويفيد وطنه ومجتمعه .

انما هو مثل في صورة عامة قد يمثل بعض حالات وليس ولا بد ان تنطبق منطوقات لامثال على كل الناس وفي كل الحالات .. فكم من أيتام ربيت فأفادت خيراً من الابن وفلذة الكبد ثم ازاء هذا المثل على شكله هذا قد تكون هناك بواعث وروافد وملابسة من انفعال وحالة خاصة لهذا المثل .

- ان كَبَرْ وِلْدَك خاوِيه

عامله معـــاملة الأخ ، ويجب ان تغير النظرة في كل طور ومرحلة. لا تنظر اليه على انه ما زال طفلاً صغيراً بل اجعله صديقاً وأخاً فما عادت تفيد اساليب العنف والتقريع أو الدلال لائقـاً بالاطفال بل انظر اليه نظرة رجل أخ أو صديق، وهذا أسلوب جدي وهي نظرة صادقة الهدف .

التجارة - العمل - المعاملات

يقدر المجتمع الليبي التجارة ويقبل على الاعمال الحرة وذلك لطبعه على حب الحرية والطموح لتكوين ثروات وازدهـــار اقتصادي ، وجاءت فترات كان لا يقبل فيها على الوظيف لأنه يراه قيداً يحول دون حريته من ناحية ولان الوظيف مهما علت درجته محدود الايراد . ولا سيما أهل الدواخل يحبون التجـارة والنشاط في العمل الحر. وهنا نسوق بعض الامثال المتعلقة بالعمل وشئون التجارة :

- خُودْ ورُدْ وشَارك الناس في مَالهَا

مثل شعبي فيه صدق، وجاء عن تجربة. يكثر على ألسنة التجار والصناع، يردده أهل الحرف في الاسواق :

- خود وردّ

أليس هذا مـا تصنعه المؤسسات والشركات والبنوك لأن بالاخذ والرد تكسب الثقة وتحوز الضمانة وتتصف بالامانة وهي صفات لا بد منها للتاجر والصانع الناجح والاقتصادي الرابح.

خود ورد – وعند ذاك ستكون شريكاً في اموال الناس .
أما ان يأخذ ولا يرد.. تورط..وغدا صاحب ديون . هم أثر هم..
ألا ترى ان هذا المثـل الشعبي – قاعدة اقتصادية – وما اكثر القواعد الاقتصادية الذهبية في امثال الشعب .

والبضاعـة مهما كانت لا بد ان تجد لها سوقـاً لو احسنت التصرف وعرفت كيف تنتهز الفرصـة ، فلا تحقر بضاعتك فقد تكون البضاعة في بعض الحالات أفيد من أصحاب لا قيمة لهم :

• عَفْن البضاعة ولا مَلِيحْ الصحاب

وتتطلب التجارة ان نعرف حاجة الناس اليها ويكون هذا عند المدن والاسواق التي يكثر الاقبال عليها ، لا تقعد كسلاناً في مكان بعيد عن الناس وتحلم ان يسعى اليك النـاس ، البضاعة تريدعرضاًواعلاناً واشهاراًوزحاماً. أيضاًتعرفماذا يريد الناس، ما هي حاجة الناس ومتطلباتهم : « اطلبوا الرزق عند مزاحمة الاقدام » .

تسري هذه العبـارة على ألسنة التجـــار والمهتمين بالمحيط التجاري،وهي من العبارات القديمة وهي أثر يضاف ويروىمن عهد الصحابة والتابعين .

وشيء من الجرأة والمحاولة والمغامرة تستطيـع ان تحصل على شيء . على كوخ تبنيه او عشاء تلتهمه.ابحث .. حاول من هنـا وهناك .. تحرك :

- كَسَّر مَصَّر دِير زريبة
- خنفَس دَنفَس اتعش

لا تضع يـــدك على خدك ولا ترخي عضلاتك وتنعم برذيلة الكسل فان هذا ليس من شيمة التاجر الصالح والصانع الفالح، فان البطالة آفة المجتمع ، البطالة جناية على الفرد والجماعة :

- البطال عدو الله والناس

وليس هناك مـا يحارب الفقر ويكسر عرنينه مثل البيع والشراء. لا يحارب الفقر عطاء وصدقة مؤقتة. ليس هذا علاجاً شافياً كافيا بل البيع والتجارة :

- البيـع والشرا يكسر سلاسل الفقر

تصوير رائع أبرز حقيقة لها أثرها في حياة المجتمع .

عندما تقبل على صناعتك بهمة وتحبها بشغف مهما كانت شاقة صعبة أو هي من الصناعـات الدقيقة لا بد أن تسخر لك وتسهل بين يديك .. كما سهل الحديد لداود « اذا مـا خدمت صناعتك أطاعتك ». واذا أعطيتها مجهوداً وغـــاية الاهتمام.. لانت وخضعت وأقبلت طيعة :

- اللّـى يخْدِمْ صَنْعه تطِيعَه

ولا يكون اعتمادك على مال ورثته وعقار آل اليك ليس فيه عرق جبينك وكد ساعدك وحلاوة جهادك بل هو من الأشياء التي قد لا تجد فيها ثمرة . وخير من هذا كله.. تدوم.. وتثمر .

صناعة بين أصابعك أو مجهود فكري :

- صنعه في اليدين خير من مِلْك الجدِينْ

وفي سخرية اذا كان عند الانسان صناعة تافهة يصور المثل الشعبي قائلاً :

- صَنْعة اللّى ما عَنْدَه صَنْعه

ومن الأقوال السائرة في أسلوب انتهاري عندما يراد دفع الرجل الكسلان الى العمل في حدة، يقال له :

- عَرِّقْ

أي اخدم بعرقك لتعيش .

الاعتماد على النفس

في المجتمع يعتز الانسان بأنه ابن أصل – ابن ناس – يفخر بأنه من عنصر كريم وتراه في ثنايا الأمثال يؤكد هذه الظاهرة ولا سيما عندما يريد أن يتزوج. ترى وتسمع الخاطبين والخاطبات يضغطون على هذه الناحية، وأيضاً في حياة الاسر والعائلات المحافظة يهتمون بالسلالة ، وتراه يعزف عن ارتكاب ما يشين خوفاً على سمعة العائلة وسكانة الاسرة .

في الوساطات والشفاعات تبرز وتطل برأسها كلمة الوصف – ابن عائلة – ولد ناس – عنده أصل – مسمّى وهكذا يغدق صاحب الوساطة والشفاعة في صفات لا تخلو من مبالغة وتهويل . ولكن بجانب هذا في حياة المجتمع وأسلوبه هناك أمثال شعبية تدل على مدى الاهتمام بالانسان كفرد، وتمتدح صفات الاعتماد على النفس بدون الارتباط الى وتد الاسرة أو جدار الاسرة . فقد يكون عصامياً كون نفسه، وهذا أجدى من فرع من شجرة ولكنه فرع ذاوٍ أو ثمرة غير ناضجة .

في ميدان الثقة بالنفس والاجتهاد وتكوين الذات يقول المثل السائر :

● كانْ بُوي كانْ جدِي خرافْ قطَاطِيسْ

شيء لا صدى له ولا أثر فيه ولا منفعة من ورائه ما لم يسنده عمل واضافة أثر الى آثار ويصور في هذا الجمال العربي القديم معنى كريماً :

إنّا وإن كرمت أوائلنا   لسنا على الآباء نتكل

● اضرب مُنْقَارِكْ ما يَنْفَع زَيّ

أي صوت وصراخ الطائر بزاي مفخمة .

لا بد في خضم الحياة من همة وتحريك للساعد أما الشنشنة والجلجلة بلا عمل وعرق يتصبب فنوع من الهراء ، أرأيت الطائر الذي يشبه به صاحب المثل لا ينفعه مجرد الصوت الذي يصدر منه بل هو ان أراد بحثاً عن الطعام أو دفاعاً عن النفس لا بد ان يضرب بمنقاره .

لا تؤخذ بجريرة غيرك في الاساءة، ولا ينفع المرء مجد غيره . في الاحسان صفات الحمد لغيرك ليست موطن مباهاة لك ، وسيئات وقبائح سواك لست مجازاً عنها . وفي القرآن الكريم - ولا تزر وازرة وزر أخرى -

وفي المثل الشعبي في ليبيا :

- كل شاة معلقة من عرقوبها .

وهبك الله قوة وأمدك بحواس وساعد فيك حيوية تستطيع بالنشاط والتفكير أن توجهها وتستفيد منها.. لا تكن عبئاً على المجتمع وحملاً على الناس .. أتنتظر أن يطعمك الناس :

- دراعك يوكلك

وفي تغرب الانسان يبرز المثل الذي يدفع بك الى مواصلة العمل قائلاً :

- غُرْبَة وَجبْد حبَال

الاقتصاد

الامثال المتعلقة في المجتمع بشؤون الاقتصاد وتدبير المعيشة متوفرة في الادب الشعبي على ألسنة التجـــار وأرباب الحرف وأهل الاسواق ، وأنواع منها يدور على لسان ربة المنزل والزوج عندما تدعو الحاجة الى ضرب مثل وتقتضي الحاجة سياقه لمـا ينطوي عليه المثل من فائدة اقتصادية وللدلالة على عاقبة التبذير وسوء مغبة الاسراف . وهناك نوع من الامثال المتعلقة بالاقتصاد منبعه الحكم القديمة أو مأخوذ من مأثورات دينية أو كتب ثقافية قديمة ، وهذه الاقوال بوجـــه عام تستشف من ينبوع الحكمة وتتولد عن طريق ممارسة الحياة والتجارب ، وتسمع المشتغلين بالتجارة ومن يهمهم المصرف بحساب يرددون المثل الشعبي :

- الاقتصاد نصف المعيشة

قاعدة للنجاح ترسم للتـاجر ورب البيت ليعرف الصادر والوارد ويدقق في دفاتر « منه » « واليه » .

ويتعرف على المكسب ورأس المـال فيمشي بحساب ويخطو

باتزان فلا يفتح على نفسه أبواباً متسعة قد تذهب بأرباحه وتذرو مكاسبه .

● اللّـى َخلى َعشاه ِلغَدَاه ما َشمْـت فيه عدَاه

لأن الافلاس الذي هو في الغالب نتيجة الاسراف والتبذير يشمت الاعداء ويخلق فرصة للخصوم فتوفير واقتصاد قد يكون من شيء بسيط..من غداء لعشاء يحفظ توازن السير. وهذا مثل يكثر ترداده ، عند النسوة وربات البيوت :

● على قد لحافك ــ فراشك ــ مد رجليك

طريف في تصويره ، شيق في اطاره ، فلو مددت رجليك أطول من فراشك وبالتالي أتعبت غيرك .

فراشك اذا قست امتداده وعرفت المقدار والمساحة التي تخصك،وأدركت وسائل راحتك في حدود ما عندك هنا بعثت الطمأنينة في نفسك . ولكن ما أكثر الأرجل المتطاولة خارج فراشها ثم تصاب بالانكماش أو الانطواء في الحياة . وليس معنى هذا المثل الطريف الدعوة الى الجمود والحد من فضيلة الطموح بل معناه اتخاذ الوسائل وتهيئة اللوازم،فلا يكون الامتداد والتوسع الا بعد أخذ الأسباب ومعرفة ما يريحك وينجح مساعيك . لا جمود ولا تطاول فوق الطاقة، وبين المرحلتين يجد الانسان ما يوسع فراشه ويريح أرجله .

أما ذلك الذي يشاهـده المجتمع يصرف بلا حساب ويبدد ويسرف فوق ما يستطيع فان عابر سبيـل قد يتنبأ بما سيلاقيه وفي غده يعانيه فيصور نهـاية التبذير وعاقبة التلف والاسراف قائـلاً :

● اللى يصرف ولا يحسب يفلس ولا يدري

وعن هذه القاعدة سل « بنوكا » أفلست وشركات تهـاوت ومشاريـع اضمحلت وطموحـاً ذوى في منتصف الطريق لعدم مراعاة هذه القاعدة الاقتصادية . ولكن هذا التدقيق ومراعـاة أصول المحاسبة لا يصح أن تكون في التوافه دون الاصول – أو في أشياء صغيرة مع الاهمـال في الأشياء الكبيرة – بعض من الناس يدقق على « السنتيم » – والدانق – ويبعثر من ناحيـة أخرى الألوف – هذا ليس ذكاء اقتصادياً بل هو نوع من العبث والإهمال الذي يصوره المثل الشعبي :

● اسْتَحْدق عَلى النْخَالة وبَزَّعْ الدقيق

أي يحافظ على القشور ويضيع اللب .

هذا نوع على مسرح الحياة كثير في الماديات والمعنويات في تصرفات الجماعـات والأفراد – واذا التفت وجدت في محيطك الاجتماعي نوعاً من هذا – ونوعاً من ذوي الأرجل التي تمتد أكثر من فراشها ونوعاً من المحافظ على النخـالة والمبعثر للدقيق ونوع

المفلس الذي لا يدري .

وقيمة الأمثال الشعبية وجوهرها أنهـــا تطابق حالات وتصرفات الناس ، انها نافذة .. نافذه كبيرة تطل منها عـــلى مسرح الحياة. من خلالها ترى نماذج من البشر في خط سيرهم واتجاه تفكيرهم .

المُـــداومَـــة

قال احد الفلاسفة : ما النبوغ الا الصبر الطويل .

وقد ضُربت آلاف الأمثال وكتبت ألوان من الحكم في المثابرة والمداومة عند آداب جميع الشعوب بشتى اللغات حتى البدائية والمنقرضة .

ان المثابرة طريق النجاح ، والملل من ممارسة العمل او الاندفاع بحماسة ثم الاهمال محل ومدعاة للفشل. وأمثلة الشعب في حياة المجتمع تبلور هذه الناحية :

• الدَوام يَقْطع الرُخام

والرخام في الجبال نحتها صعب وقطعها يتطلب جهداً ومثابرة ولكن الدوام يصنع كل شيء. ولولا المداومة ما ارتفع بنيان ولا اقيمت هذه الهياكل الاثرية التي يقف الانسان امام عظمتها مندهشاً ، مع ان وسائلهم كانت في عصرهم بدائية .. وآلاتهم بسيطة .

وفي عصرنا يلاحظ المتجول في الاسواق الشرقية دقة الاعمال

الفنية اليدوية والتطريز وكتابة المخطوطات من المجلدات الضخمة :
كل هذا من أثر المداومة ونتيجة للمثابرة. ويهمس لك المثل مشجعاً
ان كنت متردداً او خائفاً من صعوبة الشيء ويهولك أمره:

- اْجِدْ ولا تُرْدْ حتى الجبال تِنْهَد

وان كان عملك يسيراً ولكنه مستمر فذلك أفضل من جهد كثير
ثم فجأة ينقطع. وان كان لك مصدر من ثروة يسيرة ومستمرة
أفضل من كنز يتلاشى.

في مواصلة العمل
في خيرات العمل
أي في الاخذ بالأسباب وفي النتائج يتضح هذا المعنى :

- قليل دائم خير من كثير منقطع

وان كنت تريد أن تتعلم وتأخذ درب المثابرة فلا تخش أن
تكون في البدء غير متعود على العمل أو جاهلاً – في البدء –
بأصول الفن والصناعة . المهم ثلاثة اشياء :
رغبة – مداومة -- تواضع للمهنة .

- ما في حَدْ مِنْ بطن أُمه متعلم

طبيعي هذا . ويؤكد هذه السواسية مثل آخر يدل على أن
التفوق وسيلته الجد والمثابرة والمداومة. فالنبوغ والتفوق مرجعه
اذا دققت النظر الى مواصلة الدراسة والرغبة والاهتمام بالصناعة..
ما جاء أحد من بطن أمه متفوقاً . وأيضاً اسمع ما يؤكد هذا :

• كُلنا ولاَد تسع شهور

ثم يردف كل هـــذا نوع آخر مـــن اسلوب الأمثـــال اذا رأيت تفوقاً في صناعة فمرجع هذا الرغبة وخدمة الانسان لصنعته فهي خدمة مبادلة يخضع لها أولاً ثم تخضع له ثانياً ، يصور هذه الفلسفة في جملة طريفة سبق أن أشرنا اليها في فصل تقدم :

• اللّـى يِخْـدم صنعة تطِـيعَه

الايمان والتوكل

التوكل على الله والثقة به والايمان بتصاريف المقادير من طبائع المجتمع العربي والاسلامي ، عن طريق الفطرة وطريق التدين والثقافة الدينية . ولا يختلف المجتمع في ليبيا عنه في اي مجتمع عربي اسلامي تتناثر في احاديثه كلمات القدر - والمكتوب - والايمان بالغيب - وتفويض الامر الى القوة العليا .. قوة الاله القدير وهذا القدر في الواقع ليس معرقلا في دنيا التفكير ودائرة العمل لانه يحض على نفي اليأس فعندما يرى الانسان في الكوارث وما يزعزع النفس انه قضاء وقدر فلا تتحرق اعصابه بل يخفف هذا من غلواء النقمة وقد يبعث روائح الايمان في صدره ما لم تكن النظرة للقدر والقضاء نتيجتها اهمال الانسان وتركه الامور على علاتها وعواهنها .

ان فلسفة القدرية ليست معناها أن الانسان مسلوب الارادة مشلول التفكير . ليس الانسان ريشة في مهب الرياح بل له قوة التأثير وشيء من الارادة في تسيير دفة أمره . والا لما نشأت

حضارات وتكونت مدنيات ونشأ الثواب والعقاب والأجر والمكافأة على فعل الانسان . لا أريدهنا أن نتوغل في شائكات من نظريات فلسفية وجدل ديني،انما اشارة بسيطة الى أن المجتمع الذي يؤمن بالقدر ليس مجتمعاً فاشلاً ما لم يكن هذا وسيلة لعرقلة فكر أو مدعاة لإهمال .

وهنا نلقي نظرة عامة على بعض الأمثال المتعلقـــة بالقدر والمكتوب والتوكل والايمان .. تتناثر هذه الامثال في أحاديث الناس عنـــد بعض المواقف والحالات وهي ليست في حاجة الى شرح وتعليق :

- اللّـى معاه الله ما يِغْـلاَب
- الله وعباد في كل بلاد
- اللّـِّى مْصَوْرَه ربي يْصِير
- اللّـى كاتب مِكْـتَابْ
- اللّـى عند الله مُوش بعيد

وغيرها حصاد كثير في هذا الحقـــل الدال على تأصلها في النفوس وترويهـــا الثقافة الدينية وتربية البيت ونصائح الآباء والامهات . والمكتوب والغيب والاتجاه القدري والحظ قـــد يرتبط لا باليأس بل بالتفاؤل والثقة والتحمل،وقد تفيد فيأعنف لحظات الضيق وهذه عبارات تفيد في ساعات الحرج فلا يكون

الاستسلام لليأس .

فتصدر نفسة مصدور وآهة جريح ولكن من بين الآهات والآلام لا يسدل ستاراً بينه وبين الأمل فهو يردد :

- الله يفرجها

ثم رضاؤه مقرون بالثقة لعله يخفف ما به :

- مكتوب

أو ليس من دعائم الايمان التصديق بالمكتوب والايمان بتأثير القدر خيره وشره حلوه ومره .

- المكتوب على الْجَبِينْ ما يَمْحُوه الْصَاْلِحِينْ

وهذا القول في المجتمع الذي يكثر فيه الدراوشة والمرتزقة بالتصرف الصناعي والمدعين للصلاح يفيد لأنه يضع حاجزاً لهم ويكذب دعوى المتصعلكة وايمان الشعب عميق تمتد جذوره الى أغوار بعيدة .

ايمان في ثقة حتى ان الانسان يصيح في حالة التعجب والدهشة في حالة الفرح الشديد أو الحيرة الشديدة قائلاً ... الله

وهناك قول يصور رسوخ النفس وصلابتها في شيء من عناد وتحدٍ :

- اللى مْصَوَّرَه ربي يصير

وايمانه يشتد في الغالب وعند الاكثرية الساحقة على السماع والتأثر والوراثة ، ومع هذا يستعمل عقله ويضرب مثلاً على قيمة

العقل وفاعلية المنطق عندما يستدل ويبرهن عن طريق التفكير.

يقول المثل الشعبي :

الله عرفوه بالعقل

العادة والتطبع

في دنيا الأمثال الشعبية وافر من التصويرات الفنية تدل على مدى التعود والتطبع وأثره في حياة الانسان ، تشير الى الأثر العميق في سيره وطباعه .

والعادة كما يقول علماء النفس والتربية طبيعة ثانية :

- اللّى فِيه عادة مَا يْخَلِيهَا .

أي صعب التخلي عن العادات وتركها دفعة واحدة .

ويشبه المثل الاعوجاج الذي لا يستقيم والطبع الذي لا يتغير قائلا :

- فَتَّالْة الكلب حَطُوها فِي القُصْبَايَة أربعين عام ضهرت عُوجَه

وهذا الذي تعود على شيء صعب تركه .. يحن اليه ويتعلق

به حتى في الرمق الاخير :

● يْمُوتْ الْزَكَّارْ وصُبْعَه يْرِفْ

وقد يسوقون في هذا تشبيهاً اكثر في عرى الالفاظ :

● ما تُوبْ والُحجْرَة مَا دُوب

والحصان الذي علقت حياته بالمخلاة بوزه متدل بها على استمرار لا تنأى عنها عيناه .. لا تتحولان :

● يموت الحصان وعينه في المخلة .

ولعل من طرائف الامثال الشعبية الساخرة ذات الاطار التهكمي ما يرسم عكس التعود وعدم قابلية التفهم :

● ستين سَنَة يْسَاسِي مـا يَعْرَفْش يقول ـ يا كريم طاع الله ـ

وهي العبارة التي تتردد على افواه الشحاذين .

الحَظ وَالبَخْت

والحظ الذي يصيب بعض الناس بعصاه السحرية قد لعب الادب الشعبي دوراً في تصويره. أقاصيص مطولةعقدتها وحلولها مبنية على مفتاح الحظ وسهم الحظ . مواقف ومآزق يبرز الحظ في نهايتها فيكون له دور البطولة.. خرافات وأساطير منوعة انحدرت من شعور الشعب ورواياته من شتى الامم والازمان .

والفن الشعبي ولا سيما في الروايات البدائية مرتبط بدور الحظ حتى في أدوار الفروسية والبطولة .

والمثل الشعبي في ليبيا قد يبالغ في رسم الحظ ومدى أثره عندما يسلمه قيادة الانسان ويفضله على «الشطارة» عندمايقول:

- درهم بخت ولا قنطار شطارة

وطبيعي أن هذا في بعض الحالات وليس قاعدة عامة . والأمثال كما قلنا تحكي حالات ، وتعبيرٌ وتصويرٌ عن مواقف . ولهذا يكون للمثل مورد ومضرب أصل ومطابقة وحالةيستشهد بها الانسان بالمثل .

وعندما يشاهد الانسان شخصاً ناجحاً في عمـــله موفقاً في جولاته صائباً في هدفـــه وضرباته يقول عنه مضيفاً نجاحـــه الى السعد :

● سَعْدَه قَوِيّ

ويصورون الذى تواتيه الحظوظ،وأكثر من مرة يضع يده في أمر فيتفوق فيه ، وتواتيه الارباح أو أمر صعب أو انسان لا يلين ولا يخضع فيكلمه ويؤثر عليه ويخضع له سريعاً . .

هذا الذي لديه قوة التأثير ولديه اكسير النجاح يقولون عنه :

● عِنْدَه حَجْرَة الْمَسّ

وحجرة المس هذه التي تجلب الحظ — هي بلا شك أسطورة وخرافة — قد رسبت في ذهن الفنان الشعبي منذ حقب طوال في أغوار ومدارج المعتقدات الانسانية .

أما قليل الحظ سيىء الطالع فإن المثل يعبر عنه :

● فـــلان مْبَخّتْ

أو يصور في شكل مبالغة في سوء الحظ قائلاً :

● قليل البخت يلقى العظم في الكرشة

ومن المعروف — بداهـــة — أن الكرشة لا عظام بها .

وقد يقولون :

● قليل البخت يلقى العظم في الرِّية

واي رئة بها عظم !؟ . انه تصوير في منتهى المبالغة عـــن صاحب الحظ غير السعيد. ولا يكتفي صاحب المثل بهذه المبالغة الساخرة بل يقول في تهكم :

● يِمْشي للبحر يَلْقَاه نَازَحْ

ومن ألوان هذا ما يزعمه أن سيىء الحظ أراد أن يتاجر في الطواقي فوُلِدَ الناسُ من غير رؤوس .

● العام اللّي تَاجرْنَا فِيه في الطَوَاقِي انْزَادَتْ الناسْ بِلاَ رُوسْ

الجار

يهتم المجتمع بالجار وتكثر الامثال والحكم الموصية بحسن المعاملة ومراعاة أحاسيس الجيران ، وتستمد هذه الامثال والاقوال قوتها من الوصايا الدينية والتقاليد العربية الاصيلة .

فالجار له حرمته وآداب لمعاشرته فمن اللائق أن تعامله بما تحب أن يعاملك به ، ولا بد من المسايرة وتحمل ضريبة الجيرة :

- دِيرْ مَا يْدِيرْ جَارِكْ والَّا قَلَّعْ بابْ دَارِكْ

أليس هذا ما أشار إليه الشاعر العربي القديم ؟!

ودارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم

وهذه الكلمة الدائرة على ألسنة الناس :

- الجار أولى بالشفعه

هي قاعدة عرفها فقهاء التشريع وسنة من الآداب الشرعية ومن تصويرات الامثال لبعض الحالات في صور لاذعة .

- كيف جيران الآخرة

ويردد المواطن في ليبيا كلمة تنسب الى الرسول قائلاً :

- الرسول وصى على سابع جار

وقد ينسبها الاديب الشعبي الى ابراهيم الخليل ويروي أقاصيص عن معاملة الرسول صلوات الله عليه لجاره الذمي وغيره .

حُبّ الوَطن

ابن ليبيا شديد التعلق بوطنـه ، عظيم الاخلاص له يفتدي ارضه بكل مرتخص وغال ، هو متعلق بتراثه ، معتز بأمجـاده حتى مع المسغبة والمتربـة . حتى في جوف الفيـافي وأطراف الواحات .

وفي هجرته وخارج بلاده يحمل معه تقاليده وعادته من لباس ولهجة وطعام ، فترى المهاجرين من ابناء ليبيا يحملون معهم ما ورثوه من تقاليد وطباع وما جبلوا عليه من عـادات ونظم في الاكل من « بازين » « ورِشْتة كِسْكاس » ومحمصـة واسفنز الخ ..

ويرتدي في المدن البعيدة عن موطن آبائـه وأجداده لبس ورداء آبائه وأجداده .

هو مواطن يسري على لسانه المثل المشهور المأثور :

- حب الوطن من الايمان

وقد شهدت صفحات التاريخ الطويلة وميادين الكفاح الوطني

العديدة على مقدار تعلق المواطن الليبي بمقدسات وطنه الروحية والمادية يدافع عن وطنه ويعلم ابناءه مجد وطنه.. يهفو اليه ويتغنى به ومهما عاش بعيداً عنه ولو عشرات السنين يحن اليه .

كم منزل في الارض يألفه الفتى   وحنينه دوماً لأول منزل

وقد يهاجر ويغادر وطنه ابن ليبيـــا لظروف معيشية أو لطوارىء الاحــــداث وتحكم الظروف فيغادر بلاده ولكن مهما بعدت الشقة يحن اليه ويقول :

- الوطن غالي
- بلاد بُوي و بْلاد جدي
- يقول الطير و كْـري وكري
- بلادكم يا حجاج

أرأيت هذا التشبيه في المثل الشعبي وترجمة لحن الطير وهفهفة الجناح ورفرفة الطير نحو وكره .. نحو عشه.. صوب موطنه!؟

الضيف

- حكم الضيف في ايد المضيف
- ضيف وكلوفي
- اكرام الضيف ثلاثة أيام
- العزومة شد وحلف
- ما عنداش عشوة ضيف
- عشيناه بات عندنا
- ليلة ضيفك انسى فقرك

هــــذه نماذج من الأمثال المتعلقة بالضيف . والشعب الليبي مضياف يقدر الكرم ويكره البخل . وترى في هــذه الأقوال السائرة مدى نظرة المجتمع للضيف فيرى ان ــ حكم الضيف في يد المضيف ثم يرى ان الضيف ايضاً يجب ان يكون مهذباً غير متداخل في امور لا تهمه، فإذا كان الضيف ثقيلا ملحاحاً يكثر من التساؤل

والتدخل فيما لا يعنيه فهو - ضيف كلـُوفي - اي - يتكلف - ومن آداب الضيافة ان تكون ثلاثة ايام كما هو ظاهر المثل الا اذا كانت هناك ضرورة لازمة فقد تطول حسب الظروف والأحوال . ثم هناك من يعزم عليك ويدعوك للاستضافة بعبارة سطحية عابرة .

- أرحم من زار وْخَفَّفْ

آدابٌ اجتماعيّة

- شد خُبْزَتك واطْلُق عَبْسْتَك

قال العربي الفصيح :

البر شيء هيّن وجه طليق ولسان ليّن .

قيل للاوزاعي : ما كرامة الضيف ؟

- قال : طلاقة الوجه

وقالوا للدلالة على منتهى صنوف الاكرام والترحاب :

أضاحك ضيفي قبل أن أنزل رحله

ويخصب عندي والمكان جديب

وما الخصب للأضياف ان تكثر القرى

ولكنه وجـه الكريم خصيب

وكل هذه المعاني في أدب الزيارة والضيافة اشار اليها المثـل الشعبي او تلك العبارة السائرة على ألسنة الناس في ليبيا.

• كول ما يعجبك والبس ما يعجب الناس

من الآداب الاجتماعية أن تأكل ما تشتهي ويروق لك ، ذلك بينك وبين نفسك ، لا حرج ولا احراج ، أنت حر في ذلـك . أما ما تتزيا به فأنت مـــلزم بالوسط ، مرتبط بالمجموع ، والا كنت نَبْوةً في أعين الناس ، تكون نشاراً .. تظهر كالغلطـة المطبعية في السطر المستقيم ، تكون منـاط تعجب لا إعجاب ، فهل تلبس الذي لا يليق ؟ . لا بد من مراعاة المجتمع الذي تعيش فيه ، وقد نظم في هذا المعنى قديماً :

ان العيون رمتـك اذ فاجأتهـــا

وعليك من مهن الثيـــاب لباس

أما الطعام فكل لنفسك ما تشتهي

واجعل لبـاسك ما اشتهته النـاس

وأيضاً من أمثال الشعب في ليبيا :

• امشِ قِدَام عدوك جِيعَان ولا تِمْشِي قِدَّامه عِرْيانَ

ولعله من السخرية أن يكون زيك غير ملائم أو أن تكون

غير منسجم في أرديتك.. يتحلى خنصرك بذهب لامع ووسطك رداء مهلهل .. هذا نوع من الفوضى التي يسخر منها المجتمع .. كل مجتمـع سليم ... أرأيت الفنـــان الشعبي يرسم صورة كاركاتورية لهذا :

● عريان الـ .... وفي ايده خاتم

وأيضاً حذار من أن تكون غير مطابق لمعيشتك.. ظاهرك غير باطنك ... ان المتعـالي في الظاهر المتردي في حياته الخاصة – مظهر كبير – ومدخل أجوف .. علبة فـــارغة زاهية النقوش .. لا تحوي على شيء.. ما قيمتها ؟ أسمعت المثل الشعبي يتساءل :

● يا مْزوّق من بَرَّه ايش حالك من داخل ؟

أو سمعت المثل الشعبي يسخر من أسماء طنانة ولا تعني باصلاح حالها وتنظيم شئون بيتها – ساخراً ومـا أروع سخرية الناقد الشعبي :

● الاسم كبير والعشا شعير

هنا مفارقة ، والمفارقات مدعاة للسخرية ، وأيضاً من ضريبة المجتمع ان تهتم بالزي والنظافة والاناقة.. لها أثر في عيون الناس. أما أن يكون في خزائنك أكداس الذهب وأنت مهلهل فشيء غير لائق في عرف الناس ونظرة المجتمع :

● زْوِيلْ في السوق ولا كيس في الصندوق

• أوّله شرط آخرته سلامه

من مشاهير الامثال ومتداول الأقوال يدور على ألسنة الناس في احاديثهم ولا سيما فيما يتصل بالاسواق والبيع والشراء وما يتصل بالأخذ والعطاء . شيء لا بد منه في العقود والالتزام ومعرفة حق الأطراف وحفظ المصالح ، عند الشرط يتبين لك ما هو الذي لك وما هو الذي عليك فلا مجافاة ولا غضب .

ألم يقولوا قديماً : الشرط نور !

وما قامت القوانين المختصة بالشراء والبيع الا على مثل هذه البنود .

ان الشرط — أي مناط التراضي بين الطرفين ذلك للوصول الى تسهيل حاجيات الناس ، أوله شرط فلا تعجب وبالتالى فلا تتعب ما دمت راضيا ، فلا تتعب نفسك ولا تدفع غيرك الى التعب . عند الشرط والرضا به وتنفيذه — سلمت وارتحت وأرحت ، ولكن لن تصل الى هذا الا عندما يكون الشرط واضحا بيناً ، والمشروط ظاهراً .. والهدف صريحاً. فلا خسارة بل سلامة وحد للخصومات ، ويقول المثل في صورة أخرى :

• الشرط يغلب السنّة

ومن المعروف في أصول التشريع أن السنة هي الركن الثاني من قواعد التشريع الاسلامي — وعمدة القوانين ، وحجة تأتي مباشرة بعد الكتاب الكريم. ألم يقل النص التشريعي القديم عند ذكر الشرط والالتزام « شرط الواقف كحجة الشارع » ..

ويأتي المثل الشعبي في صورة من الايضاح والإضاءة :

- الشرط نور
- سار ومقدار

الفرق بين الفضيلة والرذيلة ، بين المروءة وفساد الخلق ، خيط دقيق . همسة .. وقد تكون اشارة عابرة «وغمزة» شيء . بسيط ذلك الحد الفاصل بين الفضائل والرذائل .. خيط يكاد يكون كالشعرة .. حدة ودقة . هكذا صور الفلاسفة وصور الباحثون عن عادات المجتمعات والطباع والاخلاق .. منذ ان بحث أرسطو وسقراط . منذ أن أنزل الفلاسفة المباحث الفلسفية من السماء الى الارض . من بحث أصل الكواكب الى بحث الاخلاق والطباع وعلاقات المجتمع منذ العصور الغابرة يعرفون الفضائل بتعاريف مختلفة ، ولكنهم على التباعد وتباين المظهر يكاد يكون هؤلاء الدارسون أن يجمعوا على ان هناك خيطاً دقيقاً بين المرحلتين .. بين الضفتين ... بين النقيضين .: مرحلة خطوة .. بين الارتفاع بالخلق والإسفاف بالقيم . وقد يتضح هذا التصوير عند سماعك لهذا المثل الشعبي السائر المتجول على ألسنة العامة تلمس فيه براعة التصوير وصدق الآداء :

- بِينْ السْتَرَه والكِشْفَه مَحَطْ صُبْعِينْ

خطوة .. زلقة .. هفوة .. خيط دقيق جداً بين الفضيلة وعدمها بين حمد الناس وذم الناس . من أجل ذا فليكن

الانسان في مجتمعه دائماً على حذر .. على فطنة .. دقة .. حبل الدقة ، ان تأرجح يسقط ... وان اتزن سلم لئلا يسقط الخيط ويزاح الستار بين السِتْرَة – أي الفضيلة وحمد الناس ، والكِشْفَة – أي الرذيلة وذم الناس رحلة يسيرة: محط صبعين.

• اللّي يُنْغَنى بعدَ فقرَه ادْعِي له بِثَبات َعقْله

نموذج من الناس واتته خبطة من خبطات الحظ فاكتسى بعد عري ، وشبع بعد جوع وحاز مالاً بعد ادقاع وافلاس لكنه بطر .. أشر ، هوجه المال فوضع قدمه في غير موضعها وزج بنفسه في غير مكانها ، واشتط فبدرت منه تصرفات بلهاء وجاءت أعماله من مستنقع المنكر ، فلت منه الزمام .. زمام نفسه . هذا مدعاة للسخرية – أو قل مدعاة للشفقة وجدير بالرثاء وتوجيه الدعاء أن يبقي الله عليه بقية عقله . صلوا من أجله .

وطبيعي لا يمكن أن يكون مصداق المثل الشعبي هذا ملائماً ومطابقاً لكل الناس .. فليس كل من غني بعد فقر وارتوى بعد ظمأ في حاجة الى الرثاء والدعوات بالثبات ، فما أكثر في دنيا الناس ومسرح المجتمع أهل العصامية .. من كسب بجده وتصبب عرقه ، وله فطنة واعية .. يسير في غير اختلال . والفقر ليس عيباً يعير به ، فالذين كانوا فقراء وانتهجوا سبيل الحق والتزموا جادة الخير – هؤلاء لا يعنيهم المثل الشعبي هنا انما يقصد وينطبق على الطائفة الفارغة عندما يقول :

• اللّي انْبسَطْ بعد فقره ادْعِي له بثبات عقله

● خَشِّشْني نْطلَّعَك ، اغرسني نْقَلعّكَ .

ما أروع تصوير الادب الشعبي لنفسيات الناس .. قد تحسن لإنسان فيسيء إليك تعلمه فيرديك . تريـه الطريق فيسد عليك المسالك ، وهذا المعنى رسمه الشاعر القديم في لهفة الآسف :

أعلمه الرماية كل يوم   فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي   فلما قال قافية هجاني

والادب الشعبي في ليبيا استلم هذه الصورة وأدخلت عليها ريشة الفنان الشعبي رتوشاً وظلالاً فعبر عنها الفنان المجهول في عبارة موجزة – شأن اللقطات الشعبية :

● خَشِّشْنِي نْطَلَّعَك ، اغرسني نْقَلَّعَك

ما أكثر هذه النماذج في دنـــيا الناس ، في كل المجتمعات والبلدان والاجناس شيمة الناس ، ولا يمكن التعميم في الاحكام ، قل بعض الناس فما زال في الدنيا خير . وهـذا البعض يصنع هذا بوحي من غرائزه وبدافع من طباعه ، وقـد يكون بسبب الصراع في الحياة .. وزحام الحياة وفوضى السوق الكبيرة في الحياة .. من أجل الذات .

في شتى الدروب ومختلف الانحـاء .. وضروب المعيشة .. ولكن من المروءة والإحسان ألا تسيء الى من أحسن اليك ولا من المروءة نكران الجميل وأن تكون من حامل لافتة :

● خَشْشْنِي نْطَلِّعَك ـــ ازرعني نْقَلَّعْك

● اللّـى يِبِّى الورد يتحمل شوكه

لعلك سمعت ما حكته كتب القدامى –لا بد من إبر النحل دون الشهد – أسمعت حكمة أهل المشرق – ما فيش حلاوة من غير نار – معانٍ كلية .. وحقائق عامة .

صاغهـا الأديب الشعبي في ليبيا في هـــذه الجملة التي غدت مثلا سائراً :

● اللّـي يِبـِّي الورد يتحمل شوكه

من يريد .. من يبغي ..

ان أردت نجاحاً فاسهر ليلك .. وتنـازل عن استرخائك وشيء من راحتك .. ان أردت ربحاً تحمل المتاعب والمشاق ..

للنجاح ثمن .. للتفوق مسالك لكنها ليست مبطنة بالحرير ..
وكأن الطبيعـــة الحكيمة جعلت كل شيء ثمين دونه مخاطر .. الجواهر في قاع البحار وليست ملقـاة على الشطوط ، حتى لا تكون في يد الكسالى .كل الناس. المعادن في باطن الأرض تريد بحثاً وتنقيباً . النبوغ يستلزم الصبر والدأب الطويل. ومن ناحية اخرى قد يضرب هذا المثل ويكثر الاستشهـاد به لدى العشاق واهل الغرام عندما يرون من المحبوب دلالاً ولهب نيران ، هذا من الاشواك التي تحوط الورود .

وكل يصور الورد حسبما يراه ويلمس الاشواك التي قد تدمي نفسه. والأمثال – دائماً- معانٍ عامة وقواعد وكليـات تشير في جوهرها الى الحقيقة او الى مضمون فلسفة الحياة واتجاهها .

• اْعطِ لِلْبُرْمة تَعْطِيكْ

اذا غرست جيداً أينعت ثمارك

عندما تجود في صنعك در ربحك.

اذا أحسنت في المقدمات جاءت الخواتم والنتائج طيبة.

عندما تجود بالغالي من الجهد والوقت والمال في سبيل عمل ثق أن هذا لا يضيع هباء بل يعود بالافضل. عندما تسهر الليالي في سبيل المعالي وصلت وان طال الطريق. العزيمة والكد ضريبة لا بد منها.

اذا أعطيت للبرمة.. ووضعت فيها الجيد وخير البقول وأجود اللحوم وطيب التوابل -أعطتك الجيد الطيب.. وقدمت لك الطبق الشهي.

اما اذا ضننت على البرمة ووضعت فيها رديء البقول وتوافه الأشياء لن تجد فيها الشهي الطيب. الطبخة الدسمة لا بد لها من اللوازم الطيبة.

اذا كانت البرمة فارغة. اذا كانت تلافيف الدماغ فارغة. اذا كانت نياط القلب فارغة.. عندما تكون حنايا الصدر فارغة.. عند ذاك لن يكون هناك نتاج طيب ولا تنتظر عملاً خالداً. البرمة وحدها لا تكفي. والنار الموقدة وحدها لا تكفي.. بل أعط للبرمة وأعط للدماغ وقدم للصدر والإحساس تلتهب النار وتتكون الطبخات الشهية.. حسية او معنوية.

بمقدار التعب يكون النجاح .

وهكذا الحياة يفسرها هذا الفنان الشعبي في مطبخ الحياة :

• اْعطِ لِلْبُرْمَة تَعْطِيكْ

يفسرها من زاوية الفلسفة الواقعية .. ينظر اليها عن طريق الحس والتجربة والمشاهدة بأنها أخذ وعطاء ورأس مال من الحس اليقظ ، والذهن الملتهب ، والتوابل والمواد الجيدة .

فهل ترضى ان تكون البرمة فارغة ؟ هل تقتنع بالرديء ؟

وأنت .. في يدك التناول من لوازم المطبخ في سوق الحياة . .

• اللى يْدِيْر الخير ما يْشَاوْرش

فلسفة .. وفي أدب الشعب وفن القول عنده فلسفة طبيعية ، وهذه القاعدة تتلاءم وتنطبق على حقيقة - الخير - وجوهره - وذلك ان - الخير - شيء في مفهومه العام متعارف عليه تقبله كل نفس ويدركه كل حس . فالخير في معدنه أو الفضيلة في جوهرها وحقيقتها ليست موطن خلاف وذلك ان - الخير - بديهي ليس في حاجة الى استشارة .. هل أقدم على هذا او لا أقدم .

هل هذا العمل الخير الفاضل النافع أعمله أم لا ؟ فالخير ليس في حاجة الى تردد حتى تلجأ الى الاستشارة التي تخرجك من دائرة الحيرة والتردد . من استطاع - وفي قدرته - ان يعمل خيراً لا يستشير .

أما ما يقابل هذا : الشر .. الضرر .. فيمكن بل يجب

التردد فيه .. لعل في التردد دفعاً وحاجزاً عن فعل الشر وتلافياً وحيلولة دون وقوع الضر .

بجملة غير ذات اطار وأسلوب فلسفي يريد الفنان الشعبي المبادرة بالخير والتردد في ما قد ينجم عنه شر . وبعض الناس يعاظل ويماطل في الخيرات، ويتلكأ بحجة الاستشارة وذلك قد يكون من الحجج الباطلة .

يقرعه المثل الصريح - اسمع يا وليدي اللي ْيدِير الخير ما ْيشَاورش - أي لا يتردد .

المشاورة طيبة في الامور التي تحتاج الى استشارة او في كيفية ووسيلة ومنهاج فعل الخير .. فعل هذا الشيء وطريقة تنفيذه ، عند ذاك لا بأس .

ان هذه الكلمة الحاوية لفلسفة الخير والحث على الاقدام عليه تماثل او من طريق آخر تفسر وتوضح وتساند في مفهومها الحكمة القائلة :

- خير البر عاجله

فالعجلة والمبادرة في فعل الطيبات الخيرات ، في بذر الحسنات... عجلة محمودة ليس فيها - في الغالب الأغلب - ندامة ولا يحوط بها تعاسة

- بِيشْ تَعْرف الْجَايَات ؟ بالماضيات ..

قياس الغائب على الشاهد ، واللامحسوس بالمحسوس ، معرفة الحقائق عن طريق المنطق والتأمل ، سواء في ميدان التاريخ

ومجالات السياسة او دراسة الاحوال الاجتماعية تعرف ما سيكون في المستقبل نتيجة لما حدث مثيله في الماضي من نتائج، كأن الماضي شاهد وبرهان – وهو مقدمات لما تتمخض عنه الأحداث. كأن الطبيعة في بعض انحائها ذات قانون مسلسل فيندرج تحت القاعدة .. لا جديد تحت الشمس . وعندما نستمع الى المثل الشعبي في ليبيا بيش تعرف الجايات. بالماضيات، تُرى الى اي شيء يقصد الفنان الذي صاغ هذا التساؤل ثم أردفه في نفس الوقت والعبارة بالجواب مسرعا ، وهل في الاحداث والتاريخ على اتساع رحابه ، وابتعاد فجواته ومختلف ادوار بطولاته وهزاته .. هل هو الا .. سراج في الماضي في يد الحاضر يضيء به المستقبل ، تستطيع باصرة ناقدة ، وقياس سليم وعن طريق التأمل في المقدمات ان تدرك ، النتائج، سياسية ام اقتصادية ، تدرك الغد بالتفرس في الأمس ، وهكذا المثل الشعبي البسيط يدعو الى تفضيل الإدراك الحسي والتأمل ببصيرة ناقدة .. استعمال القياس السليم . اليس في هذا فلسفة عقيدة من فيلسوف تائه في خضم الحياة :

• اللّي يْخَاف من العفريت يطلع له

تلمس الأمثال الشعبية في تصويرها جوانب من النفسيات ويستطيع علماء النفس والباحثون عن « السيكلوجية » ولوازمها ان يجدوا في حقول الامثال الشعبية نباتات طيبية وعروقاً جذرية متصلة بتربة النفس وطواياها ، والفنان الشعبي عندما لمس في

مثله هذا جانب الخوف والتخيل انما – هو في الواقع – وضع اصبعنا على حقيقة علمية ، وظاهرة من ظواهر الاحساس ودنيا الشعور وباطنه وظاهره وسطحه وقاعه ، اتعرف ما صوره الساخر في تصويره القديم « تخيل حتى خال » وكثير من امراض الاعصاب والاوهام ، ومسرح التصورات منشؤها تخيلات منحرفة او هزات عنيفة في دنيا الوهم . ويجدُّ علماء النفس وصيادلة الاعصاب في الكشف عن النقطة الاولى التي انطلق عنها شبح الوهم او احدثت الهزة المنحرفة او الغضبة الجامحة او الصدمة النفسية ، يجدّون في البحث عن النبتة الاولى في قاع النفس وزواياها ومسرحها ، ولذا في العلاج النفسي يعودون بالمريض او الواهم الى بعيد من حياته الاولى حتى يلتقطوا الخيط الاول الذي نسج منه الثوب ويقتلون النبتة الاولى ، وفي هذا المثل الشعبي .. هنا حاول الفنان ضارب المثل ان يدلنا على شيء من حقيقة النفس في تصورها – ان الاوهام تنشأ من شيء بسيط – وان الايحاء قد يكون داخلياً .. تلقائياً .. تخاف من شيء ، وتبالغ في تصويره .. وتكبر في ذهنك الصورة .. وتكبر .. حتى تسلط على ذهنك وتنسى منشأها الاول. وعديد التخوفات والهواجس مرجعها الى وسوسة وتصورات منحرفة فالذي يتخوف من شيء يخرج له – ولو من عقله – وصنعه هو ، حتى يعتقد انه حقيقة واقعة ملموسة .

اللي يخاف من العفريت يطلع له ، امـا صاحب الشجاعة

النفسية الذي يمتلك دفة نفسه ويسيطر على ذاته ويتحكم في تصوراته السليمة فلا ينساب وراء التخيلات المنحرفة . ولا يخرج له عفريت ولا تهدد حياته اوهام .

• اللّي يْبِيعْ جْنَان يَنْسَى غَلْتَه

بعض الناس يفرّط في اشيـــاء ذات قيمة ثم يتشبث باشياء تعد من لواحق هـذا الشيء او من الثانويات ، يفرط في امور جوهرية ولكنه يظهر التعلق بأمور عرضية . قـد يهمل الأصول ويلاحق الفروع . وكان في يده وفي محيط قدرته الأصل والمفصل . يبيع شيئاً ثم يتحسر على فائدته .. ولات حسرة ، يبيع بستاناً ويعض انامله متذكراً الشجرة الطيبة ، او الفاكهة الناضجة .. او الجلسة الرائقة في امسيات العشية هناك عنـــد بركته او « حوازته » . من قال له بع .. وفرط .. ثم تذكر وتحسر ، اذا اردت ان تبيع وألجأك الحـال الى التنازل فانس الثمرات وانس ما كان من حسن وجميل ، اترك الحسرة والندامة .. فان الحسرة بضاعة الضعفاء عجاف النفوس . يصور هـذه الظاهرة سخرية موجهة ما اشار اليه الفنان المجهول في رسم هـــازىء بهذه النفوس .

• اْستَحْدَجْ على النخالة بَزَّع الدقيق

ملاحظة ـ حرف الجيم هنـــا غير معطش واصله قاف من لحداقة استحدق وتنطق ج .

• اللّي يْبِيع ْجنَان يَنْسى غَلْتَه

• اللّي يَكْرَهَك يلْقطْلك واللّي يْحبك يْسَقَطْ لك

مثل سائر وكلمة دائرة على ألسنة الناس ، وفي هذه المقولة تنعكس صورة نفسية ، وتظهر على محكها ملامح بعض الناس واضحة بارزة الاتجاه مكشوفة الميول . وفي هذا ميزان دقيق ، ومقياس حساس به تتضح ميول القلب وأهواء النفس ، وبهذا المقياس والمعيار . والمثل السائر عند الشعب في ليبيا يوضح في تفصيل وابانة ما اشار اليه الشاعر القديم في بيته المشهور :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة

كما ان عين السخط تبدي المساويا

شيمة في تصرفات بعض الخلائق ، اذا ما احب انسان انساناً نظر الى اعماله وتصرفاته بعين العاطفة ، والعاطفة في كثير من الأحايين تُردي وتدفع في جموح الى الاهواء . ولذا من هذه النظرة .. ومن هذه الزاوية .. عن هذا الطريق كثير من تصرفات الناس تكون خاطئة مخطئة .. جامحة فردية ، نتيجة حتمية لهذا المقياس العاطفي الذي يغطي الحقائق بغطاء كثيف . العاطفة منظار لا يكتشف الحقائق على صورتها العارية ولا يستشفها كما هي ، بل قد يسبل ستاراً مضللاً حتى على الواضح البيِّن . من جراء المعيار العاطفي قد نجد في المجتمع صاحب ثقافة

متأخراً .. وفارغاً متقدماً . اذا بحثت عن السبب .. وتلمست الدوافــع .. لا عجب .. هي العاطفة في غير محلهــا .. هي الاهواء .. هي الموازين المختلفــة ، من كراهية تكبر وتضاعف العيوب ، وتبالغ في ابراز الاخطاء ، ومن حب بدوره يتغاضى عن العيوب والاخطاء ، ويعفو في غير مكان العفو . والمجتمع السليم من يزن فيه الناس الاحكام — خاصة او عامة — الاحكام الجماعية او الفردية ، بميزان سليم بعيــداً عن العاطفة والمؤثرات الشخصية . وطبع الناس هكذا — حب وبغض وميل وكراهية ، ولن يسلم اي مجتمع مهما كان من اغراض او اهواء ، ولكن الخلق الكريم ، والإنسان « الجنتلمان » من يستطيع ان يتحكم في عواطفه ويحكم حكماً بعيداً عن الأهواء والاغراض .

- اللي يكرهك يَلقَط لك
- واللي يحبك يْسقَط لك

سيئة تكون سيئات ، وعرجتك تكون وحولات ، وزلقتك تغدو زلقات . وان احبك شخص — ينظر بهذا المنظار — تصبح اخطاؤك مستورة بل قد تنقلب سيئــاتك الى حسنات . هكذا ينشال وينحط ميزان العــاطفة ، ولكنها مقاييس خاطئــة قد تكون من العوامل التي تذهب بالجماعات وتضيع الدول .

- الفقر يْعَلْمَكْ السْقَاطة والْعَرِى يْعَلْمَكْ الخياطة

الحاجة تفتق الحيلة ، قاعدة على اساسهـــا أنتج الانسان ، وتكونت صناعات واختراعات وظهرت كشوفـات .. الحاجة الملحة .. الضرورة التي تدفع الانسان الى ان يبحث ويعمل على الوصول الى تلبية حاجته .جاع الانسان فبحث عن الطعام. اشتهى الانسان فبحث عن الجنس . خاف الانسان فخلق وتفنن وتدرج في صنع وسائل الدفــاع ووسائل الهجوم .. من العصا والفأس والنشاب الى الصاروخ والذرة .. كل حركة - كل عمل - كل خطوة ، انما دافعهـا البعيد او القريب الخفي او الظـاهر هي الحاجة .. الضرورة ، ولندع جانبـاً شروح الفلسفـات وعمق الدراسات والفصول ، نحن هنا ازاء مثـل شعبي وقول دارج يفسر هذه القاعدة الفلسفية الاخلاقية يضم الفلسفات في جملة موجزة ، شأن ما يضعه الفنان الشعبي ، الفقر يعلمك السقاطة - اي الخضوع ، ولو سألت اي منزلق او منزلقة ممن تهـاوى فى مزالق الرذيلة .. لو فتشت .. لوجدت من وراء السقوط شبح الفقر . شبح الحاجة .. هذا الشبح كامن في الغالب الأعم أو من طرف آخر - السكوت عن الاخطاء قد يكون سببه الفقر . وقد يتفنن الانسان في عمله وسلوكه ليدفع شبح الفقر والحاجة ، وقد تكون الفنون نتيجة لرغبة الانسان في دفع عوامل الاحتياج ، لهذا يقول المثـل في اسلوب آخر :

الفقر يعلمك الزقاطة ، والزقاطة اي التحايـل والتفنن في السلوك « الفهلوة » .

والعرى يعلمك الخياطة ، والمثل هنـا واضح وضوح الغرائز

في طبع الانسان وضوح الرغبــة في الحياة والبقاء في دربهــا المجهول الطويل .

• ابعْثَ وِلْدَكْ للغابة يْجِيبْ مَثِيلَه من العيدان

للدلالة على نفسية العامل انظر الى عمله تظهر قوته وضعفه ، تنطوي اعماله على حقيقة نفسه واحساسه . ان ما يأتي بــه من تصرفات وانجازات دليل واضــح .. كشاف ، وهذا العربي في صحراء ليبيا بمثله الشعبي البسيط هنا اشار الى حقيقة من مقاصد السلوك.. الى الآثار النفسية والمعالم المعنوية في الاعمال. أليس هذا ما يبرهن عليه ،ويعكس على دراسته ارباب الدراسات النفسية؟ وبأي شيء يكتشف انا الفيلسوف المجهول من خلال الامثال ، عن طريق التشبيه بتصرفات الولد في الغابة ، ان اتى بعيدان صالحة او جلب عيدان طالحة ، قريبة هذه العيدان في المتناول أم في أحراج الغابة ، بعيدة كثيرة ضخمة،ام قليلة خفيفة الحمل؟ عيدان من جيد العطور النادرة ام هي من نوع العيدان المهترئة، من جوف واد .. او باب كهف . هذا التصرف ونوع العيدان ينطوي – في الواقع – عــلى اشياء ورموز لمعانٍ . وانمــا شبه العربي البدوي بالغابة والعيدان. لانه ابن الصحراء وهل تطلب من ابن الصحراء ان يختلق تشبيهات ويجلب أصباغاً لصورته من خارج أجوائه ؟ الصحراء .. الغابة ..العيدان اشياء في متناول بصره ويده ولــك ان تأخذ المثل الشعبي البسيط قاعــدة .. للغابة .. والسوق وشتى مختلــف ميادين الحياة . ان العامــل

والصانع وجلاب المقتنيات مـــا يلفت انظارهم ويشد انتباههم يمكن لك ان تدرسه على ضوء المصباح النفسي ، ففي تصرفات الانسان ما يدل على الاتجاه السليم او المريض .

- ابعت وِلْدَكَ للغابة او للسوق وانظر ما يجلب لك
- بات على غِيضْ ولا تْبَات على ندامة

التسرع .. حرق الاعصاب .. شدة الانفعال ، التصرفات المبنية على هذا خطر .. لها عواقب وخيمة ، نتيجتها – ولو بعد وقت – ندامة . ايهما خير في الموازنة عند كفتي ميزان الناس: غيظ مصيره ان يتلاشى ويتبخر ام ندامة تبقى حسرة مستمرة وخسارة لاحقة ? لا شك – ان عند الضرورة – في تفضيـــل احدهما ان المرحلة الأولى اخـف وطأة على النفس من المزلقة الثانية ، بات على غيض – وحاول ان تكتم هـذا الغيظ خير وأسلم من تصرف يدفع الى الندامة . وهنا شيء يحتاجه – اكثر الاحتـياج – المشتغلون بالأمور العامـــة والشئون السياسية والاجتماعية ، يذكر هذه القاعدة في أوقات الأزمات والشدة ، وعند مشتجرات الأمور .. في الزحام،زحام الحياة .. وزحام الاهواء ، وتلاطم امواج الاغراض ، الندامة حسرات تهـــد القلب ، أما الغيظ فهو من الاعراض التي شأنها الزوال كما يصور ذلك المثل الشعبي :

« الغيــظ ِكيفْ الغَدِير ِغيبْ عليه يَنْزَحْ » اي يتلاشى

وتشربه الارض . ويقول المثل موضحاً ان الغيظ يظهر مـا في القلب ويدفع به الى الخارج.. في حالة الغيظ تظهر دفائن النفس :

- « غايظه واسمع ما في قلبه »

- السُكَات في باب الكلام خسارة

لكل مقام مقال ، وقد يستلزم الحال ان يكون السكوت من ذهب وفي بعض الحالات قد تبدو هذه الحكمة ولا تساوي وزن حروفها تراباً .. وقد يكون الصمت حكمة ، وقد يكون الصمت بلاهة ، وقد يصبح السكوت خسارة فلو سَكَتَّ عن حق وما تكلمت وابنت عنه .. ضاع .. لو سكت متهم ومـا دافع فمن يظهر الحقيقة؟ السكوت في باب يلزم ويجب فيه الإبانة والافصاح خسارة .. في قضايا الافراد والجماعات ، في حقوق الأوطان وقضايا الشعوب ، يطالبك هذا المثل الحكيم ان تنطق وتفصح عمّا ما يجب الإفصاح عنه. وما أروع التحديد والتدقيق ، فهو لم يطلق القول على عواهنه .. بل حدده ، السكات في باب الكلام ، أي فـيما يلزم ويجب .. عند ذاك خسارة ، وهذا لا يتعارض مع الحكمه المنسوبة الى « لقمان » القديم « الصمت حكمة وقليل فاعله » ولا يتعارض هذا مع المثل الشعبي ايضاً « اللسان هَبْرة يْكَسر العضم » فقـد يجبر اللسان العظم في الاحوال اللازمة ، وفرق كبير وبون شاسع بين الثرثرة .. والهدرة .. والهذر وبين الكلام في بابه .. الكلام في قطاف اوانه اوان قطافه .

• اعْطِ بنتك وزِيدْ عَصِيدَه

لا يكفي ان تخدم شخصاً ، وان تزيح عنه مصاعب الامور وتبسط له مــــا كان مستعصياً عليه ، بل يطلب في دلال او ـ عنجهية ـ المزيدَ والأكثرَ حتى في الكماليات يطمع في المزيد ، ولا يفكر فيما لاقيت .. ومن أجله تحملت وخدمته . انه مثل هذه الحكاية التي صاغها الفنان الشعبي الساخر في هذا المثل :

• رَكْبَه وَحادِيه وَخرِّفه لاَ ينْعِسْ

الاول تُعْطيه ابنتك زوجة .. وتهديه عروساً تبني له العش وتهيىء له سبلَ الحياة الزوجية .. وتزيد حتى العصيدة ، الثاني تركبه على الحصان أو الفرس ، ثم تحاديه وتسايره ولا يكتفي في تدليـله وعنطزته بـــل .. تكرم وقص عليه الاقاصيص والحكايات والنوادر وخرّف لئلا يداعب النعاس سيادةَ المدلل .

الا تلمس صورة ـ واقعية ـ من هـــذا النوع في مجتمعك ، طالبي العصيدة مع العروس ، او طـالبي التسلية والاحاديث مع المحاورة والمسايرة والركوب .

• كل دُولَه ورجالها

• كل دار وكْرَاهَا

• كل بْلاد وَعزاهَا

• كل حَدْ ودْوَاه

كل شيء له خاصيته .. كل جيل له طبائعه ، كل قوم لهم تقاليدهم وعاداتهم ، فماذا يضر لو سايرت كل مسرب وعرفت كل اتجاه بحيث لا تضر بل تضع الامور في مواضعها .. وموازينها ، فلا تتورط ولا تصدم ، لن تكون النفوس على وتيرة واحدة ، والا لما حدثت اختلافات فى المشارب والآراء، كل دولة ورجالها – قاعدة تشهد بها تطورات التاريخ وسجلاته ذات الوجهة المختلفة والادوار المختلفة .

كل احد ودواء – فقد يشفي هذا جرعات من دواء لو اعطيته لآخر ربما زاد داؤه ، واستفحل علاجه ، وقد يكون هذا الانسان دواؤه كلمة ثناء وعبارة مجاملة .. وخطوة من المسايرة وقليلا من الليونة ، وذلك انسان آخر قد يكون علاجه ان تعرض عنه ،او ان تصغي اليه اكثر من ان تحدثه اوالعكس، كل احد ودواؤه من صيدلية الاحساس وطريق المعاملة .

كل دار في بنائها وهيكلها وموقعها قد يختلف كراؤها عن الديار الاخرى وكل بلاد وعزاها .. اي في طبائعها ونمط تقاليدها ومنهاج عاداتها . هذا الاديب الشعبي الذي صاغ هذه الامثال يريد بضرب المثل ان يدرك الانسان ويحس .. ويدرس الطبائع .. ويعرف اتجاهات الميول والتقاليد وعرف المجتمعات. بعبارة اخرى – ضع كل شيء في مكانه لترتاح وتربح .

• اسْتَعْجل تَبْطا

عبارة موجزة قد يبدو في ظاهرها التناقض .

ولكنها هي الواقع في كثير من الأحوال، لأنك اذا استعجلت كثيراً فقد تتأخر فتكون النتيجة من الاستعجال عكسه .

ويذكرني هذا المثل الشعبي بنصيحة قدمها أحـــد الكتاب لسائق سيارته عندما أخذ يسوق بسرعة مهولة ، وكان الأستاذ يريد حضور احدى الجلسات الهامة فقال :

- يا بني على مهلك لأني مستعجل .

طبيعي هذا بلا تناقض . لأن السرعة والعجلة قد تعرقله وتؤخره عن الوصول في الموعد ، نتيجة صدام أو حادث .

ومن زاوية أخرى – استعجل تبطأ .

أي تتأخر ويبطىء الموضوع بدل رغبة تعجله .

وعندما تتعجل صنع شيء من أداة أو صناعـة او عمل فني لتحوز الجودة..وتفوز في السباق قد يفسد عليك هذا – التسرع والعجلة - الجودة ويفوت عليك الاتقان فلا تفوز .

فتكون المعادلة :

عجلة + رداءة = تأخر .

استعجلت فتأخرت رتبة أو قيمة ومنزلة .

فالفنان الشعبي في مثله الذي يسوقه هنا يطلب منا الجودة :

تمهل – جودة – تقدم .

فالتسرع قد يحول بينك وبين التقدم فيجعلك من المتأخرين .

إنها فلسفة تتضمنها هذا المثل، ومن ثنايا هذه الفلسفة تنكشف لنا حقائق في دنيا الناس .وقديماً ورد في الأثر :ان المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى . أي أن المسرع فوق دابته سرعة غـــير

طبيعية يقتل دابته ويقف في نصف الطريق ، فـلا هو أبقى على دابته ولا هو وصل الى المـكان الذي يقصده .

- ارتاح يا بركه دق النوى

طريف تصوير هذا المثل :–بركه– يمثل الخـادم الذي يتعب ويشقى وتتوالى عليه صروف الحياة آناء الليل واطراف النهار .

لا بد من راحة . فطاقة الإنسان محدودة .

من حقه ان يستريح ليستعيد قواه ونشاطه .

ولكن قلوب بعض الناس تضن عليه بشيء من الراحـة ، تأبى عليه ان تعترف بحقه في الاستمتاع بالتمدد والراحة ..راحة اليد والبال .

قال له – ارتاح.. ودق النوى

كأنها تسلية ، ورياضة وترجية للفراغ !

هل هذه راحة !! العلها تمثل ما اشار اليه المثل الشعبي الساخر :

- راحة الحمار في الفلوكه — أو
- راحة الكرموس في الغراره

وهي امثال ساخرة تنسال فيها كلمة – راحة – في اطار من التصوير والأسلوب التهكمي ، وقـد لجأ الفنان الشعبي لهـــذا الأسلوب لإبراز حالة قلقة وتصوير نفوس غير هادئة .

وهذا المثل واضرابه قد ينقل لنا صورة من حياة المتعبـين المكدودين الذين يستلون لقمتهم بأصابع محترقـة ، ويمشون على الطريق باقدام اتعبها السير في الدرب الطويل .

ويضرب المثل ويساق شاهداً على حالة انسان لا يعطونه حقه المشروع من راحة تلزمه ، وينغصون عليه في اوقات هي ملكه وليست ملكاً لأصحاب العمل .

- اللّي يْدِيرْ الْتِريس في ضَهرَه ما يرقدش الليل

شأن الحياة القبلية وسلوك أهل العصبيات الأخذ بالثأر وقد يرد صاحب الثأر الصـــاع صاعين ، وتلتهب في صدره عوامل التربص حتى يجعل من الجمرة الصغيرة نار الله الموقدة.

وقد عانى المجتمع الليبي من حياة القبلية والعصبيـة جرائر ومرائر ولا سيما في عهود القلاقل،فوجدت بعض النفوس في النظام التعصبي مسرحاً للأخذ بالثأر .

وظهر على مسرح المجتمع ودنيـا الأمثال عديد من الاقوال الدالة على التعصب – والاعتزاز بالقبيلة والتمسك بأهدابها بدافع من حب الحياة .

- الراجل يحيي قِبِيلهْ والقبِـيله ما تِحْيِـيش راجل
- ان كان خداك العـرُبى خُـود بن عمه
- نقطة دم ولا الف صاحب
- الدم ما يْوَلِيشَ مِيِ

وهكذا نرى في الأقوال الشائعة ما يدعم القبيلة ويدل على مدى تأثيرها في نفوس الناس وحياة المجتمع .

ومن جرّاء مطاردة صاحب الثأر يظل الانسان المستهدف في

حياة قلقة مهدورة حتى يكاد ان يطير من عينيه النوم .
وانى وكيف يهدأ .

● اللّى يْديرْ الترِيس في ضَهْرَه ما يرقدش الليل

اي وراء ظهره – باحثين عنه من أجـــل الثأر والضغينة يبحثون عنه –

والتريس أي الرجال ومفردها – ترّاس

ومن دلائل العصبية في هذا الميـدان القول الدال على تأثير عميق لعاطفة القرابة :

● الدم غَاطِي العيب

* * *

● عِزْ نَفْسَك يْعِزّهَا مولاها

من لم يحترم نفسه لن يحترمه الناس، فالذي يبحث عن التقدير فليبدأ من معدن نفسه .

وعز النفس هنا مأخوذ معناه من الترفع عن الدنايا، ومزالق الهاوية .

يعزها بالعلم ، وايجاد المكانة اللائقة ، يعزها – ويطلب لها العزة – عن طريق التحصن بالخلق الرفيـع ، عند ذاك يجد نفسه في مواطن التقدير والاحترام .

● كْبَـار الدم تحمل كْبَار المصايب

هذا مثل للدلالة على النفوس القوية حاملة المسئوليات . وقد

صور هذا المعنى - احمد المتنبي - شاعر الافتخار والأنفة - التي كانت تظهر في قوله وشعره دون حيـاته ، ففي صدر بيت صار مثلاً سائراً جواباً قال :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

- إيه خَلقْ الباسْ وخلق له ناس

النفوس القوية التي تتكل وتتجمل بالصبر والايمـــان ومن شيمتها قوة الهمة وشدة المراس .

هذه النفوس تُعْرف بالجَلد .

ومن زاوية اخرى يظهر فيها التوكل والإيمـان ، ويظهر في حديث العجائز ومتقدمي السن .. التعويض .. وهو من نبـع الأيمان وتسمع هذه القولة :

- ايه الخوف من الله موش من العباد

***

- الْبـُقْره لَطَاحِتْ يَكْتَـرو سُكَاكِيْـنَهَا

وقانا الله سكاكين اللسان ، وشر الباحثين عن عيوب الناس . وأهل الانتهازية ، صنف من الناس شماتون همهم التربص بزيد وبكر وخالد وعلنان وترنان .

ما اكثر السكاكين التي تشهر وتحد مشافرها عند السقوط . عندما ينزلق انسان او يخطىء - اذا هوى وطاح تبرز من اكثر من مكان افاعٍ لا تنفث الا السم - وقاك الله شر الطياح وشر النفاق .

ويكثر التمثل استشهاداً عندما يسقط انسان سياسي أو في مجالات اجتماعية ، يكون اولئك اثناء صولته واثنـــاء وقفته ساكتين .. راضين ..

فاذا ما انهار ، وأفل نجمـه السياسي أو الاجتماعي أخذت السكاكين تبرز ، وتكاثر ألسنة النـــاقدين الذين كانوا بالأمس ساكتين ، او كانوا من ورائه هاتفين .

صورة من حياة الناس ، ونفاق المجتمع يمثلها ويرسمهـا مثل شعبي في كلمات قصار حادة النصل ساخرة الأسلوب .

● اللّـي يموت يطْوالن كِرْعيه

والمثل السابق المتضمن صورة البقرة والسكاكين يقابله مثـل آخر ولكن من ناحية أخرى .

يمثل هذا المثل هنا صورة من المدح الزائد ، ولوناً من المبالغة الحامضة في التقدير .

عندما يكون الانسان حياً . عائشاً بين الناس قد لا يلتفتون اليه.. لا يذكرونه - لا يخطر ببالهم ، فلا ينزلونه منزلته .

حتى اذا طواه الموت ، وتوارى في الافق البعيد ، وضمـــه القدر بين طياته ، طفق الناس يمدحونه حتى المبالغة ، ويتزايد الثنـــاء ويسبغون عليه حتى الصفات التي لم يكن -المرحوم- تتصف بها . يصور لسان المجتمع في ادبه الشعبي هذه الحـالة في عبارة معبرة قائلاً في سخرية لاذعة :

● اللّي يموت يِطوَالَنْ كرعيه

واصدق ما تكون هذه الحالة –وقد تكون أوفر انطباقاً– على حالة الأدباء والعلماء واهل الفكر والفن .

وايضاً المناضلين في ميدان الوطنية .

يعيشون في غمرة ويعانون – حتى من قومهم وابناء جلدتهم والمواطنين من اهل بلدهم .

يقاسون من هؤلاء متاعب الحياة في حياتهم، واثناء وجودهم قد لا تسمع عنهم حساً – الا في محيط خاص .

حتى اذا ماتوا برز الناعون ، واستل كتاب المناقب اقلامهم وانهالت وسالت أنهر واعمدة ووديان الصحف والمجلات وامتلأت القاعات والسرادقات ، واهتزت المنتديات والمنابر . وفي هذه وتلك المناحات والاربعينيات، والذكريات السنوية تبرز أساليب المبالغة والتهويل .

وتطول أرجل –الفقيد– وفي حياته ما وجـــد سطراً،ولا تحركت من اجله شفة ولا برز اسمه في محفل ولكن . .

● اللّي يموت يِطـْوا لَنْ كرعيه

والمراد بـ الكرعين الرجلين . في لهجة ليبيا كراع أي رِجْل.

● شَيْ خير مِنْ لا شَيْ

ولا شك ان الحصول على « بعض » خير من فقدان «الكل»

ودرهمان خير من الافلاس

وتعب على درب الحياة خير من قطع الانفاس .

ومداس – ولو مقطع – خير من المشي حفيان .

ولقمة ، ولو يابسة ، او كسرة ، خير من فقدان الرغيف .
ودثار – ولو مهلل - أجدى للجسد من العري !
خير من « بلاش » – وقد بلور الأدب الشعبي ما قاله حكماء القدامى ! « ما لا يدرك كله لا يترك جُله » .
ومن نظرة أخرى ومن طرف آخر في نظر المدرك صياغة المثل :

• البصيص ولا العمى

واذا أراد الفنان أن يصوغ في اطار تهكمي فيه لذاعة قد لا تخلو من حقيقة :

• البصيص في بلاد العميان طُرْفه

أي شيء له قيمة –
طُرْفة – بضم الطاء واسكان الراء – من الأشياء الثمينة او الشيء النادر .
ألا ترى ان – البصيص – في وادي العميان شيء خير .. بل عندهم شيء خطير كبير ..

• اللّي ما يْدَخّل ايده في الحفر ما يَلْدُغوه العقارب .

الانسان في المجتمع في يده مقاليد أمره .
إن تصرف حسناً جاءت نتائج طيّبة ، وان سعى للشر ، وسار في طريق معوج لن يجد في النهاية الا الالتواء .

والمرء المدرك بيده يصنع اجواءه .

انت حر .. لك كامل الحرية ، فان وضعت يدك في معترك الشر جنيت الاشواك ، وحصدت المتاعب .

وابن البادية من الصور القريبة أليه .. الحفرة .. في الجبل.. أو الوديان. بها تكمن العقارب ، وفي الشقوق والاخاديد تختبىء هوام وذوات السموم ، فإن وضع الانسان يده في الشقوق والحفر .. ماذا ينتظر ؟!

أيقطف ورداً وزهراً من هنا !

لدغته العقارب

من المُلام !؟.. هو الجاني على نفسه بوضع يده في شقوق وحفر خطرة . ويقصد المثل التحذير ، واخذ الانسان الحيطة لنفسه ما دام في يده حُسن التصرف أو سوء التصرف .

وقد سرى هذا المثل في ألسنة الناس ، يسوقه الوالد لابنه ، أو الأخ لأخيه ، والصديق لصاحبه ، او الاستاذ لتلميذه هذا المثل في لهفة وتحنان ، في اسلوب المشفق المدرك قائلاً :

● اللّي ما يُدْخل ايِدَه في الحفر ما يَلْدَغوه العقارب .

* * *

● تْعَقْبْ النار الرماد .

وقد ينتج من الصالح طالح .

ويخرج من السلالة الخيّرة ابناء ضلالة .

لا عجب .. فليس ضرورياً ان يكون في المجتمع ابن البطل مثل أسلافه او يكون عقب النابغ نبوغاً متواصلاً !

العلم ليس بالوراثة .

والبطولة ليست وراثة .

هذا مشاهد في كل المجتمعات — وكم من اعلام لم يرث عنهم اسلافهم الا الاسم واللقب .. مجرداً ..

وبمرور الزمن تاهوا وغدت اسلافهم اشباحاً .

لا عجب .. مرة اخرى !

اذا شاهدت جباناً ينحدر من سلالة شجعان ، فلسان المجتمع يصور لك هذه الحالة وتلك الظاهرة مثلا طريفـاً ، فيه سخرية اللاذع ، وتهكم الحقيقة — وقد تعمل الحقائق ألواناً من التهكم رغم مرارتها :

● يَنُوض الجمل ويعقب البعر

والجمل هنا رمز في التصوير الشعبي للقسوة والتحمـل وملء المكان والعين .

أما المثل الأول — الذي يشير الى ان — عقب النار الرماد — فهو سائر على ألسنة ابناء الشعب في اسمارهم عندما يتنـاولون جوانب من حياة المجتمع .

ومن الجدير بالاشارة هنا — ان مضمون هذا المثـــل معنى مطروق وهو مثل مسبوق مضروب .. من قديم .

قـال عربي شاعر وساق البيت « الشريشي » الأندلسي في

شرحه وتعليقه على مقامات «الحريري» :

فلست ترى من نجيب نجيبا   وهل تلد النار غير الرماد

• لأجل عين تداري عيون كتيره !

قد يكون هذا خطأ في المقياس الخلقي الاجتماعي .
ولا يصلح قاعدة أو مقياساً عاماً .
من تطبيقه تحدث اخطاء ، وينشأ حيف .
ولكنه – مع هذا – واقع في دنيا الناس ، ومعمول به في الحياة الاجتماعية .

• من أجل عين تكرم الف

فلان شخصية مرموقة الجانب لها قيمتهافي المحيط الاجتماعي .
فمن اجله يحترم فلان وعلان .
لا لشيء الا لأنه من اتباعه أو اقربائه .
أو يقع شخص في حب انسانة .. فمن اجل عيونها – زرقاء او خضراء – تكرم عيون يود الا يراها .
ولكنه الحب
ولكنها العاطفة . لغة .. قد تلغي المنطق والقواعد وتهدم الاصول دوافع الحب .
او دوافع المصلحة والنفعية تدفع الواناً من النـاس الى هذا التصرف . من هذا السلوك في حياة الفرد تفسر المصلحة والنفعية .
عيون جديرة بالاكرام تضطر إماقسراً أو كرهاً الى مداراة عيون ،

وهذه شيمة الخلائق، ان أردت ان تعيش في المجتمع كل مجتمع على ظهر الارض .

في مسرح السياسة تكثر هذه النظرية أو تلك النظرة .. دنيا الحب وهمسات القلوب .

في ثنايا التاريخ تبرز لك حقائق ووقائع يفسرها لك في وضوح هذا المثل الشعبي البسيط القائل .

● لأجل عين تدارى عيون كثيرة

ومن جانب او جوانب قد يتغاضى انسان عن اخطاء وعيوب بعض الناس من اجل خاطر وعيون انسان آخر .

الأسواق [٧]

وبرزت الاسواق في مجال التشبيه والامثال

سوق الترك - سوق الثلثاء - سوق الاصابعة - رحبة العبيد - سوق الغنم - سوق القزداره - سوق الحرارة - سوق الحدادة ، الخ ولكل طابع وميزة والمهم ان الأمثال الشعبية تأثرت بها واخذت من واديها صوراً وألواناً .

واليك نموذجاً من الأمثال والكنايات التي يكثر تداولها ورواجها في الأسواق وعند الدلالين في زحام البيع والشراء .

اذا اراد انسان ان يظهر الامتعاض من ربح التاجر وانه كسب من السلعة كثيراً ، يواتي التاجر هذا المثل ليدلل على ان الربح شيء مشروع !.

- المكسب حلال

ومن الأقوال المتداولة الرائجة في الأسواق :

• المعروضة مربوحه

والمكس يكرهه أهل السوق وهم يقولون في اوصافهم وأمثالهم :

• مَكَّاس عدو الله والناس

ومن عادة جلاّب الخضروات ان يُبَكِّر الى الأسواق مع مطلع الفجر أو قبله بقليل ، وأهل الحرف الأخرى واصحاب الدكاكين يذهبون لعملهم عند مطلع الشمس او بعدها بقليل ويقول المثل :

• ما يِسْبَق للسوق الاّ الْخَضّار

وفي زحام الدلالين يكثر العرض وترتفع حدّة المساومة والمزايدة وتسمع عبارة الدلالين .. حَرَاجْ .. حَرَاجْ .. ويقول المثل :

• مَا بعد الْحَرَاجْ الاّ البيع

وفي الصَفقات كبيرة أم صغيرة ، ولا سيما التي تحتاج الى تسجيل وابرام قسائم البيع والموافقة .. في مثل هذه العقود والحالات لا بد من – تسميع –

وبعدها تكون عمليةالدفع فيقول المثل :

• ما بعد السمع الاّ الدفع

اي انتهى الأمر وتمت لوازمه .

ومن امثال اهل السوق :

• ما في السوق الاّ مرزوق

الكنايات

عنيت أساليب الأدب الشعبي في ليبيا بالكناية .

ولا تقل هذه العناية والاهتمام عن الأمثـال والأقوال النابعة عن تجارب ، والمستمدة من الحقيقة والواقع .

وقد صورت « الكناية » نماذج من الناس ، وليس مرادنا في هذه الأسطر أن ندرس « الكناية » ونقارن بينها وبين المثل ولا ان نكثر من تعداد النماذج فقد أفردنا لذلك كتابـــاً يتعلق بالكناية [1] في ادب الشعب بليبيا .

انما نستعرض هنا شيئاً من الكناية ونلمح صورة منهـــا في المجتمع وادبه .

هذا الانسان اللبق الذي يستطيع انيستعمل اسلوبه الحلو ، وكلامه اللين في قضاء مصالحه ومعاملته مع الناس .

هو حاذق « شاطر » له سحر بيانه ، ولديه مقدرة في حسن تعابيره يستطيع ان يخرج من المآزق بلباقة .. يصوره صاحب

« ١ » راجع كتاب — الكناية — في ادب الشعب للمؤلف .

الكناية قائلاً :

● لسانه يُغْزَل الحرير !

وهناك نموذج من الناس ،ذلك الطماع الهلوع الذي لا يكفيه شيء..ولا يقتنع. تراه هلوعاً .. جزوعاً .. يرنو الى ما في ايدي الناس.. لا يرتوي .. لا يرعوي.. شرِه .. غير قنوع ،تصوره الكناية بشكل :

● عينه واسعه !

وهـذا لون آخر في دنيا الناس ، شامخ متكبر ، لا يتنازل لعباد الله في محيطه ، ويدفعـــه الغرور الى أن يرى نفسه شيئاً آخر .. مرتفعاً ، وصورت له مزاعمه النفسية انه كبير ..وتنفخ أوداجه .. لا يسير الهوينا ، تعبر عنه الكناية وترسم له صورة عن طريق تضخيم انفه :

● خشمه كبير !

أما ذلك الذي يماطل..ويكرر المماطلة ويتمادى في التأخير.. يسمع الشخص يلح في طلبه لأجل انجار عمله ولكنه لا يأبه له.. بل هو يمضي في التواني وعدم الإصغاء للطالب وكأنه مـا سمع ولا رأى !

هذا المتباطىء في الانجاز غير المصغي .. يقولون عنه :

● ودنه طويله !

وهذا التصوير غير ما عناه الأدب المكتوب الفصيح - ان فلاناً - طويل الآذان - فتلك كناية عن الحمار والبلادة .

أما في الكناية الشعبية فهي رمز لعدم الإصغاء وتلبية الطلب بسرعة ولو مع الذكاء والفهم والتعمد ، وهذا فارق واضح بيّن.

والأنسان الكَزّ الذي تستطيع بسهولة استفزازه بأدنى حركة ، وإثارته عالقة بكلمة.. بحركة .. وهو دوما «متنفرز» سريع الانفعال ، حاد الطبع ، ملتهب ،على حافة الغضب قريب الوقوع والتأثر، تشير اليه هذه الكناية فتقول:

- يَسْكَر من زبيبه !
- صُبْعَه يُخْنقَه !

والذي بلغت به حالة الانفعال والتوتر نهايتها ، فهو قريب الانفجار ، ممتلىء ، ولكنه يظهر التَحَمُّل على مضض ، أقل هزّة أو تحريكة ينفجر مرجل غضبه ويكاد ينهار سخطه ،تصوره الكناية قائلة :

- على راس خَشْمَه !

والانسان الصبور في عمله ، العاكف على اداء واجبه ، المواصل لشغله لا يواتيه الملل ولا يصيبه الكلل . تكلفه بخدمات فينهمك في عمله وواجبه غير قلق ولا كاره بل يرى في مواصلة العمل شغفاً واقبالاً .. تصفه الكناية بأنه :

- دُبُوسْ خِدْمَه !

والدبوس في لهجة ليبيـا هي العصا الغليظة الكبيرة ..
« النبوت » .
والشخص الذي يجمع بين صناعتين ، ويقوم بعمـل متنوع
وقد يتعجب الانسان لجمعه بينهما فيوصف بأنه :

• حُوكِي وَحرايْرِي !

والحوكي هو الحائك على النول .. النـاسج ، والحرايري
صانع الحرير .
واذا كان الشخص موضع دلال ، ولديه من يسنده فهو لا
يخشى من أي تصرف يأتي به ، فصاحبنا مُدلَّل استناداً لتلك
الرعاية والمحسوبية التي يستند عليها ويعتمد ، هنـا تبرز الكناية
لتعبر عن الصورة :

• أمه في الحوش

وذلك لأن الولد اذا كانت أمه في البيت سيجد مبرراً لتصرفاته
ويلقى محامياً يدافع عنه ويغطي اخطاءه .
سيلقي حناناً يُسْبغ عليه .
وصورة في مجتمع الناس .
الجبان الرعديد الذي فقد عوامل الإقدام وابتعد عن صفات
الجرأة فهو لا يتحمل المسئولية .
هذا يسخر منه المجتمع . وتتضاعف السخرية في صياغـة
كناية طريفة هازئة به على هذا الشكل :

● يَخَافْ مِنْ ضِلَّه !

ولك ان تتصور كيف تكون حالة من يخاف من ظله وعلى أي شكل تأتي تصرفاته ازاء الحياة ومشا كلها !

وهناك صنف على مسرح الوجود ودنيا النـاس لا فائدة من استشارتـــه ، ولكن قد تحـــتم الظروف والملابسات سؤاله واستشارته . وعندما يفتح فمه يدلي برأي لا وزن له ، فتصوره الكناية بهذا الاطار :

● شَاوْرَه وما تعباش عليه !

وذلك نوع آخر من الناس .

الذي تتوالى اكرماته ، وتمتد موائده .

ويعرفه الناس مكراماً يقبل الناس عليه ، وَيَحْسِـبه المجتمع ويوصف في أدب الكناية بأنه :

● حُوشَه مفتوح .

وفي أسلوب آخر تعبر عنه الكناية مصورة مدى كرمه واعطاءه في ان يده تبذل كل البذل :

● اللّي عنده موش له !

اما الشخص الذي حنكته التجارب ، ومرنتـه الظروف ، وشاهد من ألوان الحياة وصحافها الحلو والمر . قد أفادته قسوة الحياة وضراوتها ، ومن خبرته وتجربته يستفيد منـــه المجتمع ،

يرسمه صاحب الكناية في جملة معبرة :

- مِتْكَسَّر على راسه الْقَلاَّلْ !

والقلاّل – هو الفخار – الـقُلـَل ، اشارة للمصاعب التي وجدها والمتاعب التي عاينها ، والمشاكل التي انهالت على رأسه فخلص منها .

وعكسه في طابور الحياة الأجوف الفارغ الذي يرتبك في تصرفه ولا يستطيع ان ينفع نفسه ، فضلاً عن منفعة الناس .

هذا يكون موطن سخرية وهدف استهزاء .

والفن الشعبي عن طريق الكناية يلوّن في صورة واضحة حالة المرتبك حتى في الأمور البسيطة وتسخر منه الكناية في هذه الصياغة :

- ما يْخَلّص شعره مِن عَجِينَه !

وقد يرسمه الأدب الشعبي بهذه الأصباغ في إطار آخر لايقل سخرية وإبرازاً لملامحه عن الصورة الأولى فتقول الكناية الساخرة :

- مَا يْخَلّص بُقره من طين !

وفي المجتمع بجانب الأذكياء اهـل الفطانة واصحاب اصالة الرأي يكثر آخرون من الأمعات – ..هيا كل بلا فكر ، وجسم بلا حس ، شخصيتهم باهتة .

ففي عبارة موجزة ، كالسهم السريع يُكَنّي عنهم الفنان الساخر فيقول :

• طرطور !

وأمـــا صاحب النظرة الثاقبة ، والمتأمل في العاقبة الذي يستعمل المنطق ، ومن شأنه التريث قبل الإقدام .

تريثاً ليس فيه جبن .

ولا يلابسه خوف .

انما يفعل ذلك عـن حصافة لتكون الخطوة متزنة حكيمة وليعرف في تمهله وتأمله الأثر المترتب على الفعل وما عسى أن تكون العواقب .

هذا الإنسان تشير اليه الكنايات قائلة :

• يَقْرَا التَاْلِيَّه

• يَقْرَا اْلنُقُصْ

• يَقْرَا اْلعَوَاقِبْ

واذا كان لا صدى للشيء ، لا اثر للعمل ، ولا يجد الإنسان تجاوباً لما ينادي به ،ويدعو اليه ، فلا فائدة في الإجهاد ومواصلة العناء .

وحده يعمل ،ولا يجد قابلية من الغـير ،فهو مسكين . مجهوده هباء وصرخاته في واد .. أو تحملها طيات الهواء .

لمن يغني اذا كان :

• يْغِني وْجنَاَحه يْرُدّ عَلِيه !

والسبحة دلالة على التوبة – مـــا لم تكن عادة أو زينة – وهي رمز – في الغالب الأعم – من رموز وعلامات مواصـلة الصلوات والطاعة .

فاذا نكث الانسان، وعاش بعد توبته ، وأبِقَ بعد رجوع. وعصى بعد إنابة .

إذا حَنَّ للمعاصي وأهمل ما جـــدّد من طاعات ، وهدَّ جدار التوبة ، تقول عنه الكناية :

● قَطَّع السِبحه !

وذلك الذي يلاقيك هاشاً باشاً تظهر عليـه آثار الفرحة ، وهو يعبر عن بهجتـه التي لا تحتاج الى تعبير ، فقد انطبعت على ملامحه . وهل هناك مثل العيون ، تنطبع عليها صورة الفرح أو الغضب ، والترحاب أو التخوف .

إنها شاشة تنعكس عليهـا بواطن النفس وأدق الأحـاسيس وهنا تعبر الكناية عن المبتهج الفرح بلقياك قائلة :

● عيُونَه يَضْحَكِنْ !

وما أطرف وأوقع في النفوس والصدور ضحكات العيون !

واذا كان الانسان في تصرفاته لا يُؤْمَن جانبه ولا تطمئن لمصاحبته لأنه قد يغدر بك .

ففي التعبير عنه يذكرون كناية تشير الى قصة قوم–صالح–

او الأفراد الخبثاءمنهم الذين عقروا الناقة وكانوا تسعة.
ولذا يتشاءم المجتمع من رقم ٩ وعدد تسعة .
وتسمع بعض العامة يذكرون في التعداد بدل تسعة يقولون..
« نسعدو »

وفي الكناية عن فساد الشخص ولؤمه يقال :

• من التسعه !

وصورة اخرى من حياة المجتمع والناس .
الذي يعمل ما يرضي وما يؤذي .
تارة في تصرفه يعجبك .
وتارة في تصرفه لا يروقك .
تلاحظ في حين من كلامه ما تطمئن اليه ، وفي حين آخر
تلحظ في ثنايا كلامه ما لا يرضيك .
فهو لا يرضيك دائماً ، ولا يؤذيك على طول الخط !
فيه هذا .. وذاك .
في آن واحد قد يسيئك ويسرع باصلاح ما لا يعجبك .
من هذا ينتزع صاحب الكناية صورة له فيقول :

• يُضْرُبْ وِيدَاوِي !

• يَجْرَحْ وِيدَاوِي !

لا بأس .. هذا خير من الذي يجرح ويترك جرحك يقطر .
أو يضربك ولا يمد يده اليك بـل يدعك ويتفرج عليك وانت تتلوّى .

وهذا الذي لا يحمل عناء وليس لديه ما يفكر فيه .
خال من المسئولية .. مسئولية البيت والعائلة .. لا أولاد.. ولا زوجة في عنقـــه ، وحياته مضمونة ، ومصاريفه يتكفل بها الغير .

لديه ما يغنيه من ضروريات وكماليات .
يرتع ويمرح .
تقول عنه الكناية :

● يلعب في بطن تور !

ولست ادري من اين جـاء الأديب الشعبي بهذا الثور الذي رسمه واتخذه اداة تشبيه في الكناية ؛ ويقصـد ان يرمز به عن الراحة واللعب وخلو البال .

ترى هل في بطنه راحة ؟!
انها من عجائب تصوير الكنايات .
ام يقصد ان الرابطـــة بينه وبين الثور عدم الفكر وخلو البال ?!
أما الرجل الشهم ،مكتمل أخلاق الرجولةوصفات المروءة..

– فزّاع – ذو غيرة ، مقدام .

يعتز به أهله ويلجأ اليـــه الناس عند الملمات ، فهو على حد تعبير القدامى من اهل الفصاحة – عذيقها المرَجّب –

فهو عند رسم الكناية الشعبية :

- الأنْقَرْ

مِنْ أثر أسماء سُوَر القُرْآن

وفي الأمثال الشعبية تلحظ اثراً من اسمـــاء سور القرآن الكريم ، وهذا نتيجة لإقبال الناس على حفظ الكتاب الكريم وتلاوته . وهي أمثال منوعة متعددة .

واحب ان اشير هنا اننا لانقصد دراسة اثر الآيات القرآنية وتوجيه آيات الكتاب لروح المجتمع .. تلـــك دراسة أخرى وموضوع آخر ..

انها هذه السطور لإبانة – اسماء السور –

فالشيء الذي لا يتغير ولا يريد صاحبه تبديله ويرى القداسة محوطة حوله ، لا يمس بالتغيير – هنا – يتساءل الأديب الشعبي في نغمة ذات مط واستغراب قائلاً :

- أمال هو قرآن !

اشارة الى ان الشيء الذي لا يواتيه التبديل ولا يأتيه التغيير هو فقط الكتاب المقدس – القرآن الكريم – إذ لا تبديـــل لكلمات الله .

واذا أراد ان يصور شخصاً في منتهى الجهالة يسخر منه قائلاً :

- يَحْفظ القرآن ويَزيدْ فيه !

لأن من المعروف بداهة ان القرآن الكريم لا زياة فيــه ولا نقصان، وأما التصوير الطريف عن الخطأ في الشيء اليسير الذي لا يُخطأ فيه لسهولته او امكانية حفظه يقول المثل:

- َغلْطَه فى تَبَّتْ .

اي سورة ، تبت ، وهي من قصار السور .

وأما الكناية عن منتهى الأمر وبلوغ الشيء نهايته، اي في النزع الاخير يقول الواصف لتلك الحالة :

- والنازعات .

ويتخذ في الكناية عن الادقاع وخلو اليــد مصوراً حالة الإفلاس في هذه العبارة قائلا :

- والسماء والطارق !

واذا كان الشيء مكتملا ، وبلغ ذروته .. لا شيء بعده .. يقول لك المثل :

- ما بعْدْ البقره سوره

وذلك انسورة –البقرة– أطول سور القرآن الكريم وتشمل السورة على الاحكام والعبادات والتوحيد والمعاملات .

واذا اراد الانسان شيئاً سهلا قريباً هو في المتناول يقول لك:

- َماْلنَا و ْمَالْ النازعات وألم نشرح موجوده !

الفهرس